

شرح

الأصول الثلاثة

لفضيلة الشيخ
د . أحمد بن عبد الرحمن القاضي

ضمن دروس الدورة التأصيلية الأولى في جامع ابن سدي بغيضة

ملاحظة

- هذا الشرح نقل من الأشرطة مباشرة لأجل امتحانات الدورة، ولم تتم مراجعته نهائياً.
- بقي من هذا الشرح آخر درس، سيتم إحاقه فيما بعد بإذن الله.

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي من آل مشرف من آل وهيب الذين يعرفون في بلاد نجد باسم الوهبة التميمي وقد كان ميلاده في العينة سنة 1115هـ، وكان والده يعمل قاضي في العينة حتى سنة 1139هـ، ثم انتقل والده بعد ذلك إلى بلدة مجاورة يقال لها حريملاء، وأما جده سليمان بن علي فهو من أساطين المذهب الحنبلي في بلاد نجد، كان سليمان بن علي رحمه الله إماماً مشهوراً كبيراً تنقل عنه الاختيارات، في كتب الحنابلة، فالشيخ رحمه الله سليل بيت علم ودين، ثم إنه نشأ هذه النشأة الصالحة، وتربى في أحضان العلم والدين والتقوى والصلاح، فحفظ القرآن ولما يبلغ عشر سنين، ثم سمى به همتته فصار يطلب العلم في البلدات المجاورة لبلدته، حتى إذا استوعب ما حوله طمحت به همتته، فأتى بلاد الحرمين، فسافر إلى مكة وإلى المدينة، وفي مكة عاصر أحد العلماء المشار إليهم بالبنان وهو العلامة المحدث عبد الله بن سالم البصري فلعله تلقى عنه، وأما في المدينة فقد تلقى عن الشيخ محمد بن حياة السندي صاحب الحاشية على الصحيح، والتقى بالشيخ عبد الله بن إبراهيم الشمري، ثم بعد ذلك عاد إلى بلدته وبجث عن مضمار جديد لطب العلم فتوجه إلى البصرة، وهناك التقى بالشيخ محمد المجموعي وكان إماماً وعالمًا فتلقى عنه، ولكنه في البصرة رأى جهل الناس واعتكافهم حول القبور ودعاء غير الله، فأحدث له ذلك غصبة لدين الله وحمية وإنكار للمنكر، فتكالب عليه الجهال حتى أرجوه من البصرة شريداً طريداً، حتى كاد أن يهلك لولا أن تداركه الله برحمته، فأخذه رجل واحتمله إلى بلده الزبير، وكان ينوي رحمه الله أن يواصل المسير إلى بلاد الشام لولا أنه ابتلي بسرقة نفقته.

فما كان منه إلا أن عاد أدراجه إلى موطنه نجد، وعرج في طريقه إلى الإحساء، وكانت الإحساء ولا تزال من مواطن العلم، وفي الإحساء لقي أحد علمائها المشهورين وهو الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائي رحمه الله، كما التقى أيضاً بابن فيروز، وابن فيروز له حاشية معروفة في كتب الحنابلة، فأخذ عنهما ثم عاد بعد ذلك إلى والده، وكان والده قد انتقل إلى حريملاء، ولم يتمكن رحمه الله من الجهر بدعوته التي صمم عليها وهي دعوة التوحيد، وذلك أن والده كان يشفق عليه ويخشى عليه من كيد المخالفين، فما تمكن رحمه الله أن يجهر بدعوته صريحاً إلا بعد وفاة والده. ثم بعد ذلك عاد إلى عينة بعد أن ضيق واستقبله شيخها وأميرها ابن معمر وشجعه وآزره ولكنه تعرض لفتنة أخرى، وهكذا من سار على دروب الأنبياء يلقون من البلاء ما الله به عليم، فلما كان في العينة وجهر بدعوته وآزره أميرها، ما كان من أمير الإحساء

وكان في ذلك الوقت ويقال له ابن عريعر، إلا أن هدد أمير العينة بقطع الميرة عنه والمؤن وإلا يخرج الشيخ، فاضطر إلى إخراجه، أو أن الشيخ رحمه الله خرج من تلقاء نفسه ثم

أوى إلى أحد طلابه يقال له ابن سويلم في الدرعية ، وهناك في الدرعية ولعل ذلك كان من غير ترتيب مسبق ، سمع أميرها الإمام محمد بن سعود رحمه الله مقدم الشيخ وأخذ زمام المبادرة وأتى إلى الشيخ في بيت ابن سويلم ، وسمع منه ، فلما سمع منه الحق انفلج له صدره وفرح به وأيده وقال : أنا معك على هذا الأمر ، فبشره الشيخ بخيري الدنيا والآخرة ، وكان ذلك فعلاً ، فكانت هذه هي ولادة الدولة السعودية ، فولدت الدولة السعودية الأولى بسبب هذا الاتفاق الذي جرى بين الإمامين محمد بن عبد الوهاب رحمه الله والإمام محمد بن سعود ، ولم يزل الله تعالى ينصرهم وينقلهم من نصر إلى نصر حتى عمت أرجاء الجزيرة العربية ، وطالت بلاد اليمن وعمان بل حتى بلغوا مشارق الشام والعراق إلى أن حصل لها ما حصل من الأذى الخارجي ، ولكن الشيخ رحمه الله عُمّر واشتغل بالدعوة والتأليف والفتيا والمراسلات ، كان لا يضيع شيء من وقته وتوفي سنة 1206هـ.

وترك علماً غزيراً ومصنفات نافعة ، ولم يزل أبناؤه وأحفاده وتلامذته من بعده يحملون العلم إلى يومنا هذا ، ولم تنزل الدعوة السلفية الحديثة ممثلة في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، تمدد رواقها وتنشر أريجها في أرجاء الكرة الأرضية حتى صارت معلماً على المنهج النقي السلفي الخالي من البدع، فكان كل طالب العلم السلف يبحث عنها في مصنفات أئمة الدعوة ، ترك الشيخ مؤلفات عدة منها:

كتاب التوحيد ألفه في البصرة حينما رأى انصراف الناس إلى الجهل والبدع.
ومنها هذا الكتاب المشهور الأصول الثلاثة أو ثلاثة الأصول الذي نحن بصددته أولاً.
ومنها كشف الشبهات ، ومنها كتاب الكبائر ، ومنها كتاب آداب المشي إلى الصلاة وهو كتاب في الفقه ، ومنها مجموعة من المختصرات. فكان الشيخ رحمه الله يقرب العلم باختصاره ، فاختصر الإنصاف والشرح الكبير ، كما اختصر زاد المعاد والسيرة النبوية رحمه الله رحمة واسعة.

والكتاب الذي بين أيدينا متن مبارك يسمى أحياناً:
الأصول الثلاثة ويسمى أحياناً ثلاثة الأصول ، وكل هذا متقارب.
والأصول: جمع أصل ، والأصل هو:
ما يبنى عليه غيره ، وهذا الكتاب يشير إلى أصول ثلاثة وهي الأمور التي يُسأل عنها الإنسان في قبره (من ربك ، ما دينك ، من نبيك) هذه هي الأصول الثلاثة.
وقد امتاز هذا الكتاب على صغر حجمه بعدة مزايا
منها:

- 1- التأصيل والعناية بالدليل ، فلا يكاد الشيخ يذكر مسألة حتى يتبعها بالدليل ، يذكر المسألة ثم يقول والدليل قوله تعالى ، ولا شك أن هذا علامة قوة.
- 2- الوضوح والبيان بخلاف كتب المتكلمين وتعقيداتهم اللفظية فكثير ممن يؤلف في العقائد يؤلف كلاماً يصعب حله وفكه لآحاد الناس، أما الشيخ رحمه الله فقد سلك طريقة القرآن والسنة في الوضوح ، فجاء كلامه سهلاً يسيراً يفهمه كل من قرائه.
- 3 _ التقاسيم النافعة ، فالشيخ رحمه الله يُعنى بالتقاسيم. والتقاسيم نوع من تقريب العلم لطلبته ، فإن من الناس من ينثر العلم نثراً فإذا سمعه السامع لم يجمع أطراف هذا العلم ، ولكن إذا أحسن عرضه وترتيبه كان هذا من أعظم الدواعي لفهمه.
- 4- اتخاذ طريقة السؤال والجواب ، إذا قيل لك كذا فقل كذا ، وطريقة السؤال والجواب طريقة قرآنية نبوية ، لأنها تثير ذهن المتلقي ، وتذهب عنه البلادة والرتابة.
- 5- التلطف إلى القارئ والشفقة عليه والدعاء له ، فما أكثر ما نجد في هذا الكتاب رحمك الله ، أرشدك الله ، ولا شك أن مثل هذه الجمل تحبب القارئ لي مؤلف الكتاب ، لأنه يدرك محبته له وشفقته عليه ، ولا يزال أهل نجد يعتنون بهذا الكتاب ، حتى قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: وقد كان رحمه الله- يعني الشيخ محمد بن عبد الوهاب- يلقي الطلبة والعامة هذه الأصول ليدرسوها ويحفظوها ولتستقر في قلوبهم لكونها قاعدة في العقيدة وها نحن نسير على ما سار عليه القوم ونبتدىء في سلم الاعتقاد بهذه الدرجة الشريفة لنتناول شرح الثلاثة الأصول.

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم -رحمك الله- أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل؛

الأولى: العلم؛ وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة .

الثانية: العمل به .

الثالثة: الدعوة إليه.

الرابعة: الصبر على الأذى فيه.

والدليل قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر]، قال الشافعي رحمه الله تعالى: لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكففتهم.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب العلم قبل القول والعمل، والدليل قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩]. [فبدأ بالعلم قبل القول والعمل].

الشرح:

استهل المصنف رحمه الله كتابه هذا بالبسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) والبداة بالبسملة دل على ثبوتها ومشروعيتها أدلة كثيرة منها ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله فهو أقطع" وفي رواية "أبتر" وفي رواية "أجذم" وفي رواية "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله" وهذه الأحاديث لا تخلو من مقال ولكنها مجموعها تحتمل ولهذا تلقتها الأمة بالقبول، فصاروا يبدؤون كتبهم بالبسملة.

ومما يدل على مشروعية البسملة أيضا أنها هدى الأنبياء السابقين، قال الله عز وجل:

"إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم" فقد كان أنبياء الله يبدؤون مكاتبتهم بالبسملة، وقد قال الله لنبيه: "أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده" ومن أدلة مشروعية البداة بالبسملة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبدأ بها مكاتبيه، مثال:

كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل:

"بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم"

ومن شواهد ذلك أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يكتب صلح الحديبية أملأ على الكاتب "بسم الله الرحمن الرحيم" فقال مندوب قريش سهيل بن عمرو: "ما ندري ما الرحمن ولا الرحيم ولكن أكتب باسمك اللهم" فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "

فاكتب باسمك اللهم". إذا السنة أن يتدئ الإنسان مكاتبيه بالبسملة ، والسنة أيضا أن يتدئ خطبه بالحمد له، فإذا خطبت فابدأ بالحمد له، وإذا كتبت فابدأ بالبسملة ولا بأس من الجمع بينهما.

وهذه اللفظة " بسم الله الرحمن الرحيم" ابتدأت بالجار والمجرور. " بسم الله" لأن الباء حرف جر، والجار والمجرور لا بد له عند النحاة من متعلق ، فكيف نقدر متعلق الجار والمجرور ، قال العلماء:

إن متعلق "بسم" فعل محذوف مؤخر مناسب للمقام.

فما هو هذا الفعل الذي ينبغي أن نقدره لكي يكون مناسباً للمقام ها هنا؟ هو أن نقدر " بسم الله أكتب" فأنت إذا أردت أن تطلعهم وقلت بسم الله فما التقدير؟ بسم الله أكل.

وإذا أردت أن تدخل بيتك وقلت بسم الله ، فأنت تقصد بسم الله أدخل.

إذاً ينبغي أن يقدر الفعل مناسباً للمقام ، ففي هذا يقدر مناسباً للكتابة فيكون التقدير بسم الله أكتب ، أو بسم الله أصنف ، بسم الله أولف ، وبالنسبة لنا بسم الله نقرأ، وهذا الاسم اسم الله عز وجل اسم مبارك ، ما كان في شيء إلا حلت فيه البركة ، فإذا استعمله الإنسان مع الطعام بورك له في زاده ، وطرد عنه الشيطان ، وإذا استعمله الإنسان في دخوله لبيته فإن ذلك يطرد الشيطان ويمنعه من المبيت، وإذا استعمله الإنسان إذا أتى أهله حيل بين الشيطان وبين ما يقسم بينه وبين أهله من ذرية، فينبغي للمؤمن ألا يغيب عن باله ، ولهذا قال الله عز وجل:

" تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام"، فهذا من بركات هذا الاسم.

والاسم عند النحاة هو ما عيّن مسماه ، فالله سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى ، كما قال في غير موضع " والله الأسماء الحسنى" خلافاً للمعتزلة الذين أنكروا أن يكون لله أسماء ، فالله تعالى له أسماء حسنى وله صفات عُلّى ، فنثبت ما أثبت الرب لنفسه ، ومما تثبته لربنا عز وجل الاسم ، وأما لفظ الجلالة " الله" فإنه أفضل الأسماء الحسنى على الإطلاق، وقيل: أنه هو الاسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى ، وإذا دُعي به أجاب ، ولهذا نجد أن الأسماء الحسنى تحال إليه ، ألم تروا أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر في آخر سورة الحشر جملة من الأسماء الحسنى فكان يقول:

" هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ* هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ..... "

فمرجع الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم الشريف وهو الله ، وذلك أن الله اسم مشتق وليس اسماً جامداً هو اسم مشتق من : أَلَهْ يَأْلُهُ أَلُوهُةً ، والمراد بالالوهية انجذاب القلب التأله انجذاب القلب للمعبود محبة وتعظيماً ، فلهذا كان هذا الاسم الشريف جامعاً للأسماء الحسنى ، لأن القلوب لا تجتمع إلا على من كانت له صفات الكمال ونعوت الجلال .

أما الرحمن و الرحيم فهما اسمان شريفان كريمان من أسماء الله الحسنى ، ومعناها متقارب إذ أن كلا منهما يدل على اتصاف الله تعالى عز وجل بصفة الرحمة ، ولا ريب أن ربنا رحيم ورحمن ، وأن من صفاته العلى صفة الرحمة ، ورحمة ربنا عز وجل رحمة تليق به ليست كرحمة المخلوقين فيها ضعف ورقة ، بل هي رحمة لائقة بجلاله وعظمته رحمة حقيقية نثبتها لربنا ونرجو ثوابها .

والفرق بين الرحمن والرحيم ، من وجهين :

قال بعض أهل العلم : أن الرحمن يدل على اتصاف الله تعالى بصفة الرحمة اتصافاً عاماً .

أما الرحيم يدل على اتصاف الله بصفة الرحمة اتصافاً خاصاً ،

بمعنى أن الرحمن يدل على صفة الرحمة صفة ذاتية ، والرحيم يدل اتصاف الله بصفة الرحيم على صفة فعلية

بمعنى أن الرحمن يدل على الرحمة الواسعة ، التي دل عليها قوله تعالى :

"وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ"

والرحيم يدل على الرحمة الواصلة التي تختص بالمؤمنين ، قال عز وجل :

"وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا"

إذاً هذا الفرق الثاني : أن الرحمن يدل على تعلقه بعموم المخلوقين ، والرحيم يدل على اختصاصه بالمؤمنين خاصة ، وعلى أي حال فبينهما تقارب .

الفرق الثالث أن الرحمن لا يطلق إلا على الله عز وجل ، بينما الرحيم يجوز أن يسمى به المخلوق ، فالرحيم يمكن أن يقال لإنسان كريم ورحيم ، لكن لا يقال رحمن إلا في حق الله تعالى ، لأنها تدل على الإطلاق والكمال المطلق ، فلذلك لا تطلق إلا في حق الرحمن عز وجل .

بسم الله الرحمن الرحيم اعلم رحمك الله :

ابتدأ المصنف -رحمه الله- بهذا اللفظ " اعلم " وهو صيغة أمر تحمل المخاطب على الانتباه ، وقد جرى الشيخ على نسق القرآن ، فإن الله تعالى قال في كتابه : " فاعلم أنه لا إله إلا الله " إذاً اعلم : فعل أمر يطالب بحصول العلم

والعلم: إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً، وإن شئتم فدعونا نقسم المدارك إلى مراتب:

- ١ - العلم وتعريف العلم إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً.
 - ٢ - يناقض العلم الجهل، والجهل البسيط هو عدم الإدراك بالكلية.
 - ٣ - الجهل المركب وهو إدراك الشيء على خلاف ما هو عليه.
 - ٤ - الظن: وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد مرجوح.
 - ٥ - الشك: وهو إدراك الشيء على ما هو عليه مع احتمال ضد مساوي.
 - ٦ - الوهم: وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد راجح.
- هذه التقسيمات عند الأصوليين نزيدها بيانا بالأمثلة، فنقول:
- العلم إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً، فإذا قال لك إنسان متى وقعت معركة بدر، فقلت وقعت معركة بدر في السنة الثانية من الهجرة، فهذا علم لأنك أدركت الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً لا تردد فيه.
- لو قال لك قائل، متى وقعت معركة بدر؟ فقلت: لأدري، فماذا نسمي هذا جهل بسيط، لو قلت: وقعت في السنة الرابعة من الهجرة فما هذا جهل مركب لأنك أدركته على خلاف ما هو عليه، وأيهما أشد الجهل البسيط، أم الجهل المركب؟
- الجهل المركب أشد من الجهل البسيط.
- أما الظن: أن تدرك الشيء بغلبة ظن. بمعنى أنك تقول يغلب على ظني أنها وقعت في السنة الثانية من الهجرة، فهذا ظن، فالظن تكون نسبة الصواب فيه أكثر من نسبة الخطأ.
- وإذا تساوى الأمران فهو شك كأن يكون ٥٠% و ٥٠%.
- وإذا غلبت نسبة الخطأ، فقلت يغلب على ظني أنها وقعت في السنة الثالثة فهذا وهم.
- وأيضاً يقسمون العلم إلى قسمين:

- ١ - علم ضروري. ٢ - علم نظري.
- فالعلم الضروري: هو الذي يكون إدراك العلم فيه بمقتضى الضرورة. إما ضرورة عقلية أو حسية، فمن الضرورة الحسية أن تعلم أن السماء فوقنا، والأرض تحتنا، هذا علم ضروري أدركناه بالحواس.
- عقلية أن تعلم أن $2 = 1 + 1$ فهذه ضرورة عقلية لأنها تدرك بالتفكير والحساب، فهذا يسمى عند العلماء بالضرورة العقلية.

ومن العلم الضروري ما ثبت بالتواتر ، فما جاء في كتاب الله عز وجل فهو ثابت بالتواتر ، لأن كتاب الله عز وجل محفوظ نقل إلينا نقلا متواترا لا خلاف فيه، ولا يخرم منه حرف واحد.

ومنها الأحاديث المتواترة التي رواها جمع كثير يستحيل تواطئهم على الكذب عادة عن مثلهم وأسندوه إلى شيء محسوس، فالأحاديث المتواترة تفيد العلم الضروري القطعي. وأما العلم النظري فالمراد به : ما يحتاج إلى نظر واستدلال، ولهذا العلوم النظرية يحصل فيها خلاف بين أهل العلم، فتجد مثلاً أن العلماء يختلفون في بعض المسائل، مثلاً في نواقض الوضوء هل لحم الجزور ينقض الوضوء، هل مس الذكر ينقض الوضوء، فيجري فيها بحث فيكون العلم بأحد الأمرين علماً نظرياً لا علماً ضرورياً.

قال رحمه الله: (اعلم رحمك الله) :

وهذا دعاء للمخاطب بحصول الرحمة له من عند الله تعالى عز وجل.

(أنه يجب علينا تعلم أربعة مسائل) :

إذا أفاد الشيخ أن الوارد ذكره من العلم الواجب تعلمه

والمسألة تطلق عند العلماء على القضية من قضايا العلم، يقال مسألة لأنه يجري فيها البحث والسؤال.

(الأولى العلم: وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة)

هذه أول المراتب وهو العلم لأن العلم مفتاح كل شيء، فأول ما يجب عليه المكلف هو العلم ، لأنه لا فائدة من عمل بلا علم، فلا بد من العلم ، وأشرف أنواع العلوم على الإطلاق: ما تضمن شرف المعلوم، شرف العلم يبنى على شرف المعلوم، وأشرف معلوم هو الله سبحانه وبحمده، ولهذا كان أوجب الواجبات هو العلم بالله، وفسر العلم بأنه وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، لكن هذه المعرفة ليس المراد بها المعرفة النظرية المجردة، بأن يُقر الإنسان بوجود الله، وبعثة نبيه صلى الله عليه وسلم، وبأنه يوجد دين على وجه الأرض يقال له الإسلام، لا، وإنما المقصود المعرفة التي تثمر الإيمان والاتباع هذا هو العلم المطلوب. فالعلم بالله المقصود به العلم به بمقتضى أسمائه وصفاته الوارثة لطاعته وعبادته سبحانه وبحمده، هذا هو العلم المطلوب.

(العلم أو معرفة نبيه) :

والعلم بنبيه هو العلم بشخص محمد بن عبد الله الذي يورث تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يُعبد الله إلا بما شرع على لسانه، هذا هو المطلوب، ليس مجرد العلم النظري أو التاريخي.

(معرفة دين الإسلام بالأدلة) :

والمقصود بمعرفة دين الإسلام: العلم بأن الله دين افترضه على البشر ليعبدوه، لأنه خلقهم لذلك، وأنه ذلك الدين هو الذي حمّله أنبيائه من لدن نوح عليه السلام إلى لدن محمد صلى الله عليه وسلم، ولهذا دين الإسلام هو دين الله للناس جميعاً.
فالإسلام له معنيين:

معنى عام، ومعنى خاص.

فالإسلام بالمعنى العام للإسلام: هو ما بعث الله به جميع أنبيائه ورسله، ولهذا قال تعالى:

"إن الدين عند الله الإسلام"، وقال سبحانه وتعالى:

"إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا"

فجميع أنبياء بني إسرائيل مسلمون، وكما قالت بلقيس ملكة سبأ:

"وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين"

فدين الله على مر العصور هو الإسلام، ليس لله دين سوى الإسلام.

والإسلام بالمعنى العام للإسلام:

هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص له من الشرك، فهذا الذي بعث الله به أنبيائه جميعاً، لا فرق بينهم " لا نفرق بين أحد من رسله"
وأما الإسلام بالمعنى الخاص:

هو ما بعث الله به محمد صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق المتضمن للعقائد الصحيحة والشرائع العادلة والأخلاق الرفيعة، والآداب العالية، الذي هو النسخة الأخيرة الناسخة لما قبلها من الأديان هذا هو الإسلام بالمعنى الخاص.

قال الشيخ رحمه الله: (بالأدلة) :

أي أن تكون هذه المعارف مقرونة بالأدلة.

والدليل هو ما يرشد إلى المطلوب. ينبغي لنا معاشرة المؤمنين أن ندرك العلم بدليله:

"أفمن كان على بينة من ربه"، من كان على بينة من ربه ليس كمن كان يمشي على جري العادة أو أخذ الأمر وراثته أو ما أشبه ذلك، عود نفسك ألا تعقد على مسألة من المسائل إلا وقد فقهت دليلها، لكي تعبد الله على بينة، ولهذا قال بالأدلة.

والأدلة متنوعة منها:

أدلة سمعية - وأدلة عقلية - وأدلة حسية - وأدلة فطرية. فأنواع الدلالات متعددة.

١ - فأما الأدلة السمعية:

فهي ما جاء عن الله تعالى أو عن أنبيائه، فإذا ثبت الشيء في كتاب الله أو في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو دليل سمعي يجب الصيرورة إليه وتقديمه على كل شيء.

٢ - الأدلة العقلية:

وذلك أن الله سبحانه وتعالى فضلنا على سائر المخلوقات بهذه العقول، وجعل العقل من وسائل الوصول للعلم، ولهذا نجد قوله تعالى: "أفلا يتدبرون"، "أفلا يتفكرون"، "أفلا يعقلون"

"لقوم يعقلون"، "لقوم يتفكرون"

"إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون"، "إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون"

"أفلم يدبروا القول"، "كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته"

إذاً هناك أدلة عقلية، والله تعالى قد ضمن كتابه أدلة عقلية وإليك هذا المثال:

كان جبير بن مطعم-رضي الله عنه- من أسرى بدر، وقد ربط إلى سارية من سواري المسجد فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم ليلة في صلاة المغرب بسورة الطور، فلما بلغ قوله الله تعالى:

"أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون"، قال:

كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما دخل الإيمان في قلبي.

هاتان الجملتان دليلان عقليان ناصعان لا يُيقنان مجالا لأي شبهة

"أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون"، لا هذا ولا ذاك.

إذا الله خلقهم إذاً المستحق للعبادة وحده.

٣ - وهناك أدلة حسيّة:

وهي ما أودع الله تعالى في ملكوت السماوات والأرض

"قل انظروا ماذا في السماوات والأرض"، ولهذا نجد في كتاب الله:

قوله: "أفأأنتم ما تمنون"، "أفأأنتم ما تخرثون"، "أفأأنتم الماء الذي تشربون"

"أفأأنتم النار التي تورون"، كلها هذه أدلة مادية وحسية تدل الإنسان على الحق.

٤ - هناك أدلة فظـرية:

وهو ما جبل الله تعالى عليه النفس الإنسانية من الحق، ولأجل ذا حمل بعض العلماء قول الله عز وجل:

{ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ }

فقد أودع الله تعالى في القلب وفي النفس، الفطرة السليمة
 "فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ".
 فجميع الأدلة تتعاضد في الدلالة على الحق، فلا عذر لمبطل.
 ثانياً:

(العمل ————— به)

لا بد من العمل، العلم يهتف بالعمل فإن استجاب وإلا ارتحل، لا بد من
 العمل لا يكفي مجرد العلم، لأن العلم حجة لك أو عليك، فإن عملت به فهو حجة
 لك، وإن أهملته كان حجة عليك.

إذا لا بد من العمل ولهذا نجد في كتاب الله كثيراً قرن بين العمل بالإيمان:
 "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات"، "إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات"،
 "فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات"

فالعمل ثمرة العلم، ولأجل ذا بعث الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأمرين:
 بالهدى ودين الحق، فالهدى هو: العلم النافع، ودين الحق هو: العمل الصالح فلا بد
 من هذه المرتبة وهي العمل به .

واعلم يربك الله أن العمل يكون أحياناً قلبياً وأحياناً يكون بدنياً وأحياناً يكون لسانياً
 وأحياناً يكون مالياً، بعض الناس يتصور أن العمل فقط يكون في حركة الأبدان، لا ،
 فالعمل أوسع من ذلك، فأنت مثلاً إذا أقمت في قلبك الرجاء والخوف والتوكل والمحبة
 والخشية والإنابة فأنت في الحقيقة تعمل بعلمك لأن هذه المذكورات أعمال قلوب، وأعمال
 القلوب أشرف من أعمال الجوارح.

ومن الأعمال أعمال البدنية: الصلاة والحج وإمطة الأذى عن الطريق، ومن الأعمال،
 الأعمال المالية وهو ما يبذله الإنسان من زكاة وصدقة.

ومن الأعمال، الأعمال القولية وهو ما يلفظه به اللسان من الذكر وتلاوة القرآن وغير
 ذلك.

ثالثاً:

(الدعوة إليه)

من حصل العلم واشتغل بالعمل به، فإن ذلك يحمله على الدعوة إليه تلقائياً لأن المؤمن
 كالزهرة يفوح أريجها، الزهرة لا تُمْسِكُ أريجها بل إن عبقها يخرج وينتشر فيما حولها
 وكذلك المؤمن، فإن المؤمن إذا عِلِمَ فإن علمه ذلك يحمله على أن ينشر علمه فيما حوله

بدرجات متفاوتة بحسب ما آتاه الله، فالدعوة إلى الله عز وجل من لوازم ومن الأمور التي تجب على كل مسلم بقدر ما آتاه الله، ولهذا قال الله عز وجل مخاطبا نبيه :
 " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " ، وقال سبحانه:

" فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ " ، فإيجب على كل مؤمن أن يستصحب هذه المرتبة وهي الدعوة لا يقولن قائل الدعوة من خصائص هيئة كبار العلماء أو من خصائص حملة الشهادات الكبرى أو نحو ذلك ، الدعوة إلى الله واجب كل مؤمن فيما أعلمه الله تعالى أية أوقفه عليه ، فلا بد إذا من الدعوة والحديث عن الدعوة يطول ولا بد أن يتأدب الإنسان بآداب القرآنية بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ، كما قال في الآية الأخرى:

" وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " ، وفضله عظيم فإن صلى الله عليه وسلم قد قال:

"فلأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمُرِ النَّعَمِ"

قال "ومن دعا إلى هدى كان له مثل من عمله به من غير أن ينقص من أجورهم شيئا " وقال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئا " وكذلك من دعا إلى ضلالة، فلهذا نجد أن الله تعالى يسمي هؤلاء أئمة، وهؤلاء أئمة، فأهل الإيمان: " وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ " وأهل الضلالة: " وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ "

الرابعة:

(الصبر على الأذى فيه)

من علم وعمل ودعا فلا بد أن يُبتلى فلذلك ، عليه أن يوطن نفسه على الصبر، ألم ترى أن لقمان رحمه الله قال في مواعظه لابنه:

" وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ " وماذا " وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ " .

فمن أمر ونهى ودعا فليتوقع الأذى القولي والأذى المعنوي، فذلك ينبغي أن يوطن نفسه على الصبر فيجب على الإنسان أن يصبر على الأذى فيما يدعو إليه، ولا يظن أنه إذا دعا إلى الله أنه سيستقبل بالورود والرياحين، وتُفسح له المجالس، بل سيلحقه من الأذى والابتلاء بقدر إيمانه، فلأجل ذا قال نبينا صلى الله عليه وسلم:

" أشد الناس بلاءً النبيون ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء، وإن كان في دينه رقة خُفف عنه

الصبر معناه لغة: الحبس والمنع والمراد به: حبس النفس عن الجزع وباللسان عن التشكي والسخط، والجوارح عن لطم الحدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية هذه حقيقة الصبر، ومثله في الدين عظيمة حتى أنه كمثل الرأس من الجسد، وهو أنواع فمنه الصبر الصبر على طاعة الله، ومنه الصبر عن معصية الله، ومنه الصبر على أقدار الله المؤلمة

ثم إنَّ الشيخ رحمه الله بعد أن قرر المراتب الأربع، أتبع ذلك بالأدلة فقال:
(والدليل قوله تعالى: "وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ"

أقسم الله في مستهلها بالعصر وهو الدهر والزمان الظرف الزماني، أقسم الله تعالى بالعصر وجواب القسم "إن الإنسان لفي خسر"

الإنسان هنا هو جنس الإنسان بدليل الاستثناء بعد ذلك، وإن كان بعض المفسرين يقول إن الإنسان إذا ذكر في القرآن المكي فالغالب عليه هو الإنسان الكافر، لكن هذا غالب لا يعم، فالمقصود بالإنسان هنا جنس الإنسان، فهو في خسر في خسار وبوار إلا من استثنى الله تعالى:

"إلا الذين آمنوا" أي صدقوا بقلوبهم، وعملوا بجوارحهم ونطقوا بألسنتهم،
"إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات" ليس أي عمل بل لابد أن يكون عملاً صالحاً والعمل الصالح هو ما جاء على لسان النبي نبي الله تعالى.
وما سواه فإنه لا يكون صالح.

"إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ"

فهاتان الجملةتان جمعاً بين الإخلاص والمتابعة، فالإيمان يدل على إخلاص العبادة لله تعالى، والعمل الصالح هو ما كان موافقاً للسنة فهو يدل على المتابعة،
ثم قال:

"وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ" ومعنى تواصلوا أي أوصى بعضهم بعضاً

فهو مفاعله تواصلوا بالحق أي بالالتزام به والتمسك به، وما أحوج أهل الإيمان إلى التواصل بالحق، فإن المؤمن إذا رأى من أخيه شذراً، قوياً، ولهذا قال موسى عليه السلام:
"وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا {

وفي هذا لفظة لكم - طلبه العلم - وأنتم تستقبلون هذا المشروع المبارك، أن تتعاونوا فيما بينكم، وتتواصلوا بالحق، وتثبت وتدارس العلم فيما بينكم.

"وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" أي يصبر بعضهم بعضا على ما يلقون في ذات الله، فمن تأمل في هذه السورة العظيمة وجد أنها دلت على المراتب الأربع السابقة.

(قال الشافعي) :

الشافعي رحمه الله هو أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، وهو من أهل غزوة - فك الله حصارها ونصر أهلها - ، كان ميلاده سنة ١٥٠هـ - وكانت وفاته سنة ٢٠٤هـ ، وعلى قصر عمره رحمه الله فهو إمام منبوع من أئمة المسلمين.

(قال الشافعي رحمه الله : لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم) يالها من كلمة

وليس مراده رحمه الله أن هذه السورة تغني عن بقية القرآن والسنة، لا، المقصود بالحجة يعني حجة العبودية والاتباع. وأما تفاصيل الدين ومعرفة مفردات الشريعة فلا شك أن السورة لم تتضمنها، وإنما هذه السورة أصل عظيم في التوحيد والاتباع، والتواصي بالحق والصبر.

(وقال البخاري رحمه الله) :

البخاري هو أمير المؤمنين في الحديث وهو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، وكانت ولادته في بخارى، وإليها ينسب، سنة ١٩٤هـ، وفاته سنة ٢٥٦هـ

وهو والشافعي كلاهما غني عن التعريف، وهما من أئمة الدين، الأول في الفقه والثاني في الحديث.

(يقول البخاري رحمه الله في صحيحه : باب العلم قبل القول والعمل) :

وقد قيل أن فقه الإمام البخاري في تراجمه، لم يكن الإمام البخاري يخلط كلامه بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل يكتفي بتتبع تراجم ييوب فيها أبواب تدل على عميق فقهه رحمه الله، فمن ذلك هذا قال : باب العلم قبل القول والعلم والدليل قوله تعالى :

"فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك" ، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل،

إي والله، ملحظ لطيف، واستنباط دقيق، ذلك أن الله تعالى قال: " فاعلم أنه فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر " فأمره بالعلم قبل الاستغفار، مما يدل على البداءة بالعلم قبل القول والعمل.

المتن:

قال المصنف رحمه الله:

اعلم رحمك الله: أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث مسائل والعمل بهن:
 الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً؛ بل أرسل إلينا رسلاً فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار. والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ [المزمل: ١٥-١٦].
 الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].
 الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحده الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب. والدليل قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

الشرح:

انتقل رحمه الله المؤلف إلى فصل جديد ، فقال : اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم ثلاث هذه المسائل والعمل بهن ، جزم الشيخ جزماً أكيدا بوجوب تعلم هذه المسائل والعمل بهن ، وهذا الجزم ناتج عن قوة اليقين ورسوخ العلم ، ماهذه المسائل؟
 ١ - أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً ، بل أرسل إلينا رسولا ، لا شك أن الله سبحانه وتعالى قد خلقنا ورزقنا في ، وهذا أمر دلت عليه أنواع الأدلة ، فالدليل السمعي والدليل العقلي والدليل الحسي ، كلها تدل على أن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقنا .
 فأما الأدلة السمعية فكثيرة جدا قال الله تعالى: " الله خالق كل شيء " وقال سبحانه وتعالى: " وخلق كل شيء فقدره تقديرا " وقال سبحانه وتعالى "ألا له الخلق والأمر"
 وقال سبحانه " هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده "
 " والله خلقكم وما تعملون " ، ولو ذهبنا نسوق الآيات التي فيها ذكر الله تعالى للخلق لاطال بنا المقام وأما الدليل العقلي على أن الله تعالى خلقنا هو قوله تعالى:
 " أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون " - الطور - إنك لو تأملت في هاتين الآيتين الجميلتين لوجد فيهما إبطالا لنظرية الصدفة ولنظرية الطبيعة فهذا فيه إبطال لنظرية الصدفة ،

ونظرية الطبيعة، ذلك أن من الملاحدة يزعمون أن هذا الكون وجد صدفة، هكذا صدفة؟ ومنهم من يقول أنشأته الطبيعة، وكل هذا والعياذ بالله إلحاد، وتهرب من الأدلة الضرورية التي جاءت بها رسل الله الدالة على أن الله تعالى خلق آدم وخلق منه زوجه، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، فالقائلون بالصدفة لا يمكن أن يفهم لهم معنى معقول، فما الصدفة؟ عميةا بكماء صماء لا يمكن أن يحال عليها.

وكذلك القائلون بالطبيعة ماذا تقصدون بالطبيعة؟ هل يقصدون بالطبيعة ذات المخلوقات فكيف يُنشئ الشيء نفسه، إذن قول الله تعالى: "أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون"، تنسف هذه النظريات الإلحادية، وذلك منها النظرية التي شاعت في أوروبا المسماة نظرية نشوء والترقي التي تنسب إلى داروين، وهي أن الإنسان كان قرد وتطور في سلالة معينة حتى وصل إلى هذا الحال، كل هذه الدعاوة دعاوي باطلة معارضة لما أخبر الله به في كتابه وجاءت به جميع رسله من أن الله خلق آدم من قبضة طين ونفخة من روح فكان الخلق.

وليس مراد الشيخ رحمه الله بهذه المقدمة بقوله إن الله خلقنا ورزقنا، ليس مراده رحمه الله في هذا المقام أن يقرر الخلق والرزق، فإن هذا أمر تقره الفطر، وإنما مراده ما بعده وهو قوله (ولم يتركنا هملا بل أرسل إلينا رسولا) أي أن مقتضى حكمته سبحانه وبحمده ليس أن يخلقنا ويرزقنا ثم يدعنا، كلا، بل خلقنا لحكمة، كما قال سبحانه وتعالى: "أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ"، وقال سبحانه: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"،

فلا يمكن أن يكون الله عز وجل بث هذه البشرية في الأرض لأجل أن تأكل وتشرب وتنكح وتنام وتستيقظ وتموت ثم ينتهي الأمر، هذا لا يتفق مع حكمته، وإنما أراد أراد الله من وراء ذلك حكمه، فلهذا قال "بل أرسل إلينا رسولا" فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار، هكذا أرسل الله رسولا، هذا الرسول يمكن أن قد يكون اسم جنس، فإنه قد أرسل إلى كل أمة رسولا،

كما قال تعالى "وَأَنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ" "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا"

والرسول في حقنا هو خاتمهم وأفضلهم صلوات الله وسلامه عليه

والدليل على قوله: "فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار"

"إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا"، فمن إذا من عصى الرسول أخذه الله أخذا وبيلا، هذا بالمنطوق، وبالمفهوم فإن من أطاعه فإن الله تعالى يكرمه ويثبه ويأجره ويدخله الجنة، كما جاء صريحا في قول النبي صلى الله عليه وسلم :

" كل أمي يدخل الجنة إلا من أبي، فقيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال:

" من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني دخل النار " - رواه البخاري -

المسألة الثانية:

فهي أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته، " إن الشرك لظلم عظيم"، أعظم ذنب عصى الله به هو الشرك، وأعظم قرينة هي التوحيد، إن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، ما الدليل؟ هذا الأصل العظيم، قول الله تعالى:

" وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا"، فالمساجد هي مواضع السجود أو فعله، فالسجود لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى، ولا يجوز صرف عبادة لغير الله: " فلا تدعو مع الله أحدا"

وهي جاء في الحديث القدسي: " أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيبي تركته وشركه"، قواعد عظام مباني كبار لا بد أن تستقر في نفس المؤمن.

الثالثة:

فهي مرتبة على ما قبلها، قال: أن من أطاع الرسول ووجد الله لا يجوز له موالة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب، هذا هو مشروع شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وهو الولاء والبراء، فإنه أراد أن يحمل الناس على توحيد رب العالمين والبراءة من الشرك والمشركون، فأعلمهم أن ثمة الأمرين الأوليين هو أن يوالي في الله ويعادي في الله، لأن من استقر في قلبه توحيد رب العالمين واتباع سيد المرسلين فلا بد أن يثمر له في قلبه محبة المؤمنين ومعاداة الكافرين ثم استدلل بقول الله تعالى: " لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ"، لا يمكن أن يوجد ذلك بشهادة رب العالمين.

لا يمكن أن يوجد قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويجتمع مع إيمانهم ذلك مواده لمن حاد الله ورسوله، ومعنى حاد الله ورسوله أي وقف في حد يقابل حد الله ورسوله، فهو مناوئ لله ورسوله، فلا يمكن أن يجمع في قلب مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر مودة للمحادين لله ورسوله أبدا.

قال نبينا صلى الله عليه وسلم: " أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله"، ومما يدل على قول الشيخ: ولو كان أقرب قريب، قوله تعالى: " وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ "

هؤلاء هم أقرب الأقربين، فإذا تراحم في القلب موالة الله وموالة رسوله مع موالة أعداء الله ورسوله، فإن الأمر محسوم، فالمؤمن الحق يقدم محبة الله ورسوله كما قال تعالى في آية

براءة: " قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ "، إذن لا يجتمعان.

ومن عجب ما جاء في السيرة أن أبا سفيان -رضي الله عنه- لما كان مشركاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة في المدة التي ماد أهل قريش فيها النبي صلى الله عليه وسلم، فترل على ابنته أسماء ابنته رمله -أم حبيبة- زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أراد أن يجلس قامت رضي الله عنها وطوت الفراش فقال: أي بنية أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت بهذا الفراش عني؟ قالت: بل رغبت بهذا الفراش عنك، هذا فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت مشرك نجس.

تقول هذا لأبيها، لتبين له كيف أن حقيقة الإيمان تعيد ترتيب الأولويات وأن الإيمان يقدم ويؤخر، ومن شواهد ما جرى لأصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم ما وقع لمصعب بن عمير رضي الله عنه فإن إثر يوم بدر أسر أخوه لعل اسمه كان حبيبا فأسره أحد الأنصار فمر مصعب فقد أوثقه الأنصاري، فلما رأى أخاه استبشر فمر مصعب، فقال للأنصاري أوثق عليه يدك فإن أمه ذات مال فقال مذكراً أيه ظن لم يعرفه أنا أخوك، قال: هو أخي قبلك.

فهذا يدلنا على عظم هذه الخصلة وهي الموالاة الحب في الله والبغض في الله، وهي ثمرة الإيمان، فلهذا أتى الله على أهلها، فقال سبحانه: " أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "

جعلنا الله وإياكم منهم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ما هي مراتب الإدراك؟ العلم، الجهل البسيط، الجهل المركب، الظن، الشك، الوهم
أخبر الشيخ بأن ثمَّ أربع مسائل يجب علي كل مسلم يتعلمها فما هي؟
العلم . معرفة الله ، ومعرفة نبيه ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.
العمل به.

الدعوة إليه.

الصبر علي الأذى فيه.

ما الدليل علي هذه المراتب الأربعة من القرآن؟ قوله تعالى "والعصر - إن الإنسان لفي خسر - إلا
الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر"
ثم ذكر الشيخ ثلاث مسائل يجب تعلمها أيضاً:—

أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً بل أرسل إلينا رسولا فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل
النار الدليل قوله تعالى "إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم" المزمّل.
أن الله لا يرضي أن يشرك أحد معه في عبادته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل الدليل "وأن المساجد لله
فلا تدعوا مع الله أحدا"

أن من أطاع الرسول ووجد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب
والدليل "لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله." المجادلة

ثم قال المصنف الإمام المحدد:

اعلم - أرشدك الله لطاعته - أن الحنيفية: ملة إبراهيم، أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ومعنى ﴿يَعْبُدُونِ﴾ يوحّدون، وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو: إفراد الله بالعبادة وأعظم ما نهي عنه الشرك؛ وهو دعوة غيره معه، والدليل قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

كرر الشيخ هذا الخطاب بصيغة الأمر (اعلم) وذلك ليؤخذ الأمر مأخذ الجد والاحتفاء به . ثم دعا لسامعه فقال أرشدك الله والرشد : ضد الغي وضد السفه والمقصود به الاستقامة والصواب . والمقصود بالطاعة: الموافقة، موافقة الأمر فيما يجب بامتناله وفيما يكر باجتنابه.

أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله إذن عندنا جملة "مكونة من (أن) واسمها وخبرها، فقولها " أن الحنيفية " فالحنيفية هي اسم أن، وملة إبراهيم ليست خبرها وإنما هي بدل، فهو عرف الحنيفية بأنها ملة إبراهيم وجاء خبر أن (أن تعبد الله) يعني هذه الجملة المؤولة من أن وما دخلت عليه هي خبر أن، فالحنيفية مأخوذة من الحنف وهو: الميل . فالمقصود بالحنيفية: الميل عن طريق الشرك إلى طريق التوحيد والاستقامة ومنه تسمى العرب الأحنف للرجل الذي في مشيه ميل، فمعنى الحنيف: أي مائلاً عن طريق الضلال إلى طريق الهدى وقد وصف الله تعالى إبراهيم عليه السلام بهذا الوصف في غير ما موضع فقال تعالى " ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً " فالحنيفية هي: ملة إبراهيم عليه السلام و بها بعث محمد عليه الصلاة والسلام، فقد بُعث عليه الصلاة والسلام بالحنيفة السمحة . إذن هذا هو معنى التحنف لغةً واصطلاحاً: وهي ملة إبراهيم.

والملة المقصود بها : الطريقة والسيرة.

وأما إبراهيم عليه السلام فهو أحد أولى العزم من الرسل وهو أفضل الأنبياء بعد نبينا عليه الصلاة والسلام وهو إمام الموحدين في الآخرين وقد اتخذ الله تعالى خليلاً كما أن الله اتخذ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خليلاً، فقال تعالى " واتخذ الله إبراهيم خليلاً " . والخلة هي أعلى المحبة وما ذاك إلا لأن إبراهيم عليه السلام قد محض العبادة لله رب العالمين فلم يبق في قلبه نزعة وميل إلى سوى عز وجل، وقد ابتلاه الله عز وجل بمواقف عظيمة أثبتت كمال توحيدة لله تعالى ومن ذلك ما جرى بينه وبين قومه حينما واجههم جميعاً وحاجهم تلك الحاجة العظيمة حتى وصل به الأمر أن حطم آلهتهم وكسرها حتى اجتمعوا عليه وقالوا :أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟ ثم إنه ضعوا له ناراً عظيمة

وألقيه فيها وهو لم يجد عن توحيد الله عز وجل ، فلما هوى وتحتة السنة النار عرض له جبريل فقال له: يا إبراهيم ألك حاجة؟

قال: أما إليك فلا، وأما إلى الله فبلى . وكان يقول : "حسبنا الله ونعم الوكيل " فامرئ هذا حاله في هذه المواقف العصيبة لاشك أنه قد قام قي قلبه من توحيد رب العالمين ما لا يبلغه وصف ، ومن دلائل توحيد عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى ابتلاه بحبة قلبه وثمره فؤاده وهو ابنه الذي أتاه على حين كبر فأراه الله تعالى في المنام أنه يذبحه ورؤيا الأنبياء حق فقال عليه الصلاة والسلام (يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى) وما كان يستشير في ذلك بل كان يتلطف في إخباره فما تدري أتعجب من الأب أم تعجب من الابن ؟ هذا هو حال الموحدين أيها الإخوة حقا (قال يا أباي افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) يقول تعالى : (فلما أسلما وتله للجبين) أي كما يضع من يريد أن يذبح الشاة بالشاة (ونادينه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) هكذا يكون التوحيد بأن يفزع القلب من كل شبه مخالف خبر الله ورسوله ومن كل شهوة تخالف أمر الله ورسوله ، صاحب هذا القلب هو صاحب القلب السليم ، فلذلك كان إبراهيم عليه السلام يدعو ربه عز وجل بأن يكون ذا قلب سليم فقال (ولا تخزي يوم يبعثون ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) تعريف القلب السليم : هو الذي سلم من كل شبهة تخالف خبر الله ورسوله ومن كل شهوة تخالف أمر الله ورسوله . إذن صار إبراهيم عليه السلام مثالا وعلمًا على التوحيد ولذلك أمر الله تعالى نبيه وأحاله على ملة إبراهيم عليه السلام وصار كل من أتى بعد إبراهيم عليه السلام ينتحل إبراهيم وينتمي إليه ولكن ذلك لا يكون إلا لمن وافقه حقا وصدقًا ولذا أنكر ربنا عز وجل على أهل الكتاب فقال تعالى : (أم يقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب) وقال أيضا (ما كان إبراهيم يهوديا) وقال أيضا رد الله على أهل الكتاب دعوى الإبراهيمية حينما قال الله عز وجل (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) آل عمران وقال تعالى (يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون) آل عمران.

فإبراهيم عليه السلام هو إمام الموحدين واليهود والنصارى يحاولون الانتماء إلى ملة إبراهيم عليه السلام، وإبراهيم عليه السلام منهم براء ، بسبب ما أحدثوه وبسبب رغبتهم عن ملته قال تعالى : (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه)

قال قتادة - رحمه الله تعالى - وغيره : رغبت اليهود عن ملة إبراهيم ورغبت النصارى عن ملة إبراهيم. فالموافقين لملة إبراهيم عليه السلام هم المسلمون ، وأن اليهود والنصارى قد حادوا عن ملة إبراهيم بسبب إفسادهم في دينهم وإدخالهم البدع العقدية على ملتهم . فما هي الحنيفية ملة إبراهيم كما ذكرها الشيخ؟ أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين ، وهو أن تفرد الله بالعبادة وحده . ومعنى

الإخلاص :التنقية ،مخلصا له الدين أي : مخلصا له العبادة .وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)،فالله تعالى خلق الخلقة لعبادته والدليل على ذلك هذه الآية الصريحة (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) مثل هذا الاستثناء يسمى استثناء مفرغ من أعم الأحوال ،مثل قولنا (لا إله إلا الله) لأنه لا يحصل التوحيد التام إلا بالنفي والإثبات ،فالله تعالى قال:(وما خلقت الجن والإنس)هذا نفي (إلا ليعبدون) هذا إثبات ،وقد فسر ابن عباس - رضي الله عنهما- يعبدون أي :يوحدون .لأنها لا تكون عبادة حقا إلا بتوحيد .فمن عبد الله وعبد معه غيره فهو مشرك ،ومن لم يعبد الله عز وجل فهو ملحد مبطل ،ومن عبد الله فهو الموحد حقا .

وما هي العبادة ؟ العبادة لها معنى من حيث اللغة ومعنى من حيث الاصطلاح،أما معنى العبادة من حيث اللغة : فمعناها التذلل والخضوع ،تقول العرب :يعبر معبد أي مذلل ،ويسميه الناس الذلول لكونه مذلل للركوب ،وتقول العرب أيضاً:طريق معبد أي:مهيأ للسير عليه.فالعبادة في أصل اللغة تعني التذلل والخضوع للمعبود .

وأما في الاصطلاح : - فلها معنى من حيث حقيقتها ومن حيث مفرداتها- أما حقيقة العبادة أو تعريف العبادة من حيث هي: فهي كمال المحبة مع كمال الخضوع .أي أن يكون العبد في قلبه محبة تامة وخضوع تام .

فمن قام في قلبه هذان المعنيان فهو عابد حقاً .وأما تعريف العبادة من حيث مفرداتها :- فأجمع تعريف لها - ما عرفها به شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

هذه هي العبادة التي خلقنا الله لها .فالله تعالى ما خلقنا لكي نعمل الأرض بالأكل والشرب والنكاح والتكاثر والنوم واليقظة والموت ثم ينتهي الأمر (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون)خلق الله الخليقة لعبادته فهذه هي حقيقة العبادة التي أمر الله بها جميع أنبيائه فلا يظن ظان أن هذا هو فقط دين محمد عليه الصلاة والسلام أو دين إبراهيم عليه السلام فحسب ، كلا ، كما قال الشيخ: أمر الله جميع الناس وخلقهم لها . تأملوا قول الله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) هذا هو مضمون رسالات الأنبياء جميعاً وهي عبادة الله وحده دون ما سواه ،ومما يدل على هذه الجمعية قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)انظروا إلى الفرق بين الناس حينما ينظرون إلى التاريخ، أهل الإيمان يقرؤون التاريخ قراءة إيمانية فيفسرون التاريخ من لدن آدم عليه السلام مروراً بنوح عليه السلام عبر أنبياء الله كما يصنع ابن كثير وابن جرير حينما يكتبون التاريخ ،وأما الماديون والغريبيون ومن سار على شاكلتهم فإنهم يقرؤون التاريخ قراءة سطحية فيقولون: التاريخ القديم والتاريخ الوسيط والتاريخ المعاصر ويصنفون الرسالات النبوية مصافاً الدول

و الأمم والممالك المتعاقبة وكأنما هي مظهر من مظاهر التاريخ بينما نحن أهل الإسلام نرى أن التاريخ هو هذه السلسلة من هذه الحلقات المتصلة من أنبياء الله عز وجل فنرى أن صلاح البشرية حينما تقترب من خط النبوة وأن انحراف البشرية حينما تفترق عن خط النبوة ، وقد عرفنا معنى العبادة من حيث هي ومن حيث مفرداتها ، و به يتبين أن العبادة تتناول جميع أمور الحياة. وليست العبادة هي ما تحيط به هذه الجدران الأربعة وما يغطيه هذا السقف في المساجد. كلا الحياة كلها مضمار للعبادة، قال تعالى : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) فما من صغيرة ولا كبيرة ولا شاذة ولا فاذة إلا وهي تدرج في، لمن أصلح الله قلبه وأنار بصيرته فالمؤمن اللبيب هو الذي يحول عاداته إلى عبادة ، والغافل هو الذي يقلب عاداته إلى عادات ، اجعل عاداتك عبادات بالنية الصالحة ، ولا تحول عباداتك التي شرعها الله إلى عادات بحيث تكون جرياً على العادة وتقليداً وميراثاً، وهنا أيضاً ملحظ آخر وهي أن العبادة تنقسم إلى قسمين : -

عبادة كونية: وهي مادلٌ عليها المعنى اللغوي .

عبادة شرعية : وهي مادلٌ عليها المعنى الشرعي .

فالعبادة الكونية تشمل جميع المخلوقات لا يخرج عنها أحد قال تعالى : (إن كل من في السموات و الأرض إلا آتي الرحمن عبداً - لقد أحصاهم وعدهم عداً) فكل من يدب على وجه الأرض فهو عبد لله شاء أم أبى لأن خاضع لنواميس الكون لا يخرج عن قدر الله لا يملك لنفس نفعاً ولا ضرراً، فجميع المخلوقات بهذا الاعتبار داخلية في العبودية العامة. وأما العبودية الخاصة فهي عبودية المؤمنين التي تعني الموافقة والطاعة والمتابعة لدين الله عز وجل ، ويمكن أن نضيف قسماً وأن نقول عبودية خاصة الخاصة : وهي التي يختص بها أنبياء الله لأهم أكمل الناس في العبادة ، فأكمل المؤمنين عبادة هم أنبياء الله . هذه هي معاني العبودية العامة التي تشمل كل أحد ، والعبودية الخاصة هي العبودية الشرعية التي تختص بأهل الإيمان والطاعة ، وهناك عبودية خاصة الخاصة وهي للكمل من المؤمنين وعلى رأسهم أهل الإيمان .

أو كانت عبادة لسانية كالدعاء والذكر وتلاوة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو كانت عبادة مالية كالصدقة والزكاة، أو كانت عبادة بدنية كالصلاة والحج والجهاد في سبيل الله وإمالة الأذى عن الطريق .

ومعنى توحيد العبادة أو توحيد الإلهية معناه : إفراد الله تعالى بالعبادة بحيث لا يصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله .

وهذا هو ما بعث الله به أنبيائه جميعاً ، فإن مهمة الأنبياء تعبید الناس لرب العالمين ونفي الشركاء عن الله عزوجل (وما أرسنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)

فلذلك لا بد من الجمع بين الأمرين : عبادة الله واجتناب الطاغوت معاً حتى يتحقق التوحيد . وكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ما معناها ؟ أي لا معبود بحق إلا الله . ففيها نفي كل معبود سوى الله ، وإفراد العبودية وحصرها في الله عزوجل ، وهذا النوع من التوحيد هو معترك الصراع وحلبة التزاع بين الأنبياء وأقوامهم ، فقد كان الأنبياء يبادئون أقوامهم بجملة واحدة متكررة - كل رسول أرسله الله سبحانه وتعالى إلى قومه يبادئهم بهذه الجملة - (يا قوم اعبدوا ما لكم من إله غيره)

قالها نوح عليه السلام وهود وصالح وشعيب عليهم الصلاة والسلام كما ذكر الله ذلك في سورة الأعراف والشعراء إلى أن انتهت النبوة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فقالها صريحة مدوية (اعبدوا الله) قولوا : لا إله إلا الله . فهذه القضية وهي توحيد الإلهية أو توحيد العبادة هي الفاصل للتزاع ومفترق الطرق بين أهل التوحيد وأهل الشرك .

توحيد الأسماء والصفات : وهو أن يعتقد العبد أن الله سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنی والصفات العلی

لا يشاركه ولا يماثله أحد في أسمائه وصفاته . وقد جرى الخلاف في هذا النوع بين أهل القبلة ، لا بين المؤمنين و المشركين ، بل بين أهل القبلة أي المنتسبين إلى الإسلام فقد نازع في هذه القضية على درجات متفاوتة ، المخالفون من أهل التعطيل ومن أهل التمثيل ، وهدى الله أهل الإيمان والسنة إلى ما اختلف فيه من الحق بإذنه فصاروا يثبتون ما أثبتته الله تعالى لنفسه في كتابه مت غير تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل ، وينفون عن الله تعالى ما نفى عن نفسه في كتابه أو ما نفى عنه نبيه صلى الله عليه وسلم .

وتختلف تقسيمات العلماء للتوحيد فمن العلماء من يقسم التوحيد إلى هذه الأقسام التي ذكرتها ومنهم من يقسمه تقسيماً فنياً آخر لا يعارض التقسيم الثلاثي فيقول التوحيد نوعان : توحيد في المعرفة والإثبات : ما يشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات .

توحيد القصد والطلب: توحيد الإلهية أو توحيد العبادة. فلا تعارض بين التقسيم الثنائي والتقسيم الثلاثي وزيادة في الإيضاح نقول أن توحيد "المعرفة والإثبات" يسمى أيضا التوحيد العلمي، التوحيد الخبري، التوحيد النظري كلها أسماء لمسمى واحد، أما توحيد "القصد والطلب" فإنه يسمى التوحيد العملي، وتوحيد العبادة، وتوحيد الإلهية كلها أسماء لمسمى واحد، فالنوع الأول: توحيد المعرفة والإثبات دلت عليه سورة الإخلاص "قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد"، والنوع الثاني: توحيد القصد والطلب، فقد دلت عليه سورة الكافرون "قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين"

ولأجل ذا كان نبينا صلي الله عليه وسلم يحتفي بهاتين السورتين حفاوة تامة ويشرع للأمة قراءتهما في مناسبات عدة مثال ركعتي الطواف، وركعتي الفجر، وفي صلاة الوتر، وكذلك في أوراد الصباح والمساء مضمومتان الي غيرهم وما ذلك إلا لعظيم فضل هاتين السورتين وتضمنهما للتوحيد بجميع أنواعه ثم قال المصنف رحمه الله وأعظم ما نهي عنه الشرك قال تعالى "إن الشرك لظلم عظيم" وقد جعله النبي صلي الله عليه وسلم أعظم الظلم فلما تلا النبي صلي الله عليه وسلم قوله تعالى "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون" فشق ذلك علي الصحابة وقالوا:

يا رسول أينما لم يظلم نفسه فقال إنه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: إن الشرك لظلم عظيم" فالظلم المحذور هو الظلم الذي هو الشرك بالله، قال تعالى منفراً من هذا الشرك "إنه من يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار" وقال تعالى "ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق"

الشرك يهدم الإنسانية ويهدم العبودية، ويحبط العمل، يبيح الدم والمال ولذلك قال تعالى "ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً" وفي آية أخرى "ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً" فإن الله لا يقبل من مشرك عملاً قال تعالى "وما منعهم أن تقبل منهم صدقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله" ففي الدنيا لا يقبل من مشرك عملاً قال تعالى في الحديث القدسي "أنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه" وأما في الآخرة فالدنيا لكنه يحبطها في الآخرة قال تعالى "وقدمنا إلي ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً" .. الفرقان وقال تعالى "ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين" ... الزمر فيجب أن يكون عمدة دعوتنا الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك. فقبل أن نخذرهم من الشهوات والمعاصي بأن نخذرهم من الشرك بالله لأنه إذا صلحت قلوبهم تخلصوا من تبعات ذلك من المنكرات والمعاصي . وقد سئل النبي صلي الله عليه وسلم فقيل له أي ذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك"

والظلم هو النقص وقال في الحديث أيضا "من يتقي لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن يتقيه يشرك به شيئا دخل النار" فمن وحد الله توحيدا تاما دخل الجنة تلقائيا ومن وقع في توحيد شئ من الكبائر فهو تحت المشيئة والإرادة إن شاء الله عفا عنه ثم أدخله الجنة وأن شاء عذبه بقدر ذنبه لكن ماله إلا الجنة لأن عنده أصل التوحيد. وأما من أشرك بالله فإنه لا ينفعه أي عمل صالح حتى لو قام بأعمال خيرية في الدنيا قد تنفعه في الدنيا بتوسعة الرزق والصحة في البدن لكنها تحبط في الآخرة وحقيقة الشرك: مساواة غير الله بالله فيما يختص به الله.

والشرك نوعان:

شرك أكبر.

شرك أصغر.

فالشرك الأكبر: قلنا مساواة غير الله بالله فيما يختص به الله في الربوبية أو في الألوهية أو في الأسماء والصفات فقد يقع الشرك في الربوبية بأن يعتقد خالقا مع الله أو مالكا مع الله أو رازقا مع الله أو مدبرا مع الله والشرك في الألوهية هو أن يعبد غير الله والشرك في الأسماء والصفات أن يعتقد أحدا يتصف بصفات مماثلة لصفات الله وفرعون قد وقع في الشرك بجميع أنواعه والكفر بجميع أنواعه. وأما الشرك الأصغر: يتعلق ببعض الألفاظ والأعمال التي لا تبلغ مبلغ الشرك الأكبر فلذلك يعرفه بعض العلماء بأنه:

ما لم يبلغ حد الشرك الأكبر.

الشرك الأكبر يفترق عن الشرك الأصغر في عدة أمور :

الشرك الأكبر	أما الشرك الأصغر
مخرج عن الملة.	لا يخرج عن الملة
لا يغفره الله تعالى أبداً.	مختلف فيه فمنهم أي العلماء من يقول يغفر كالكبائر ومنهم من يقول لا يغفر ولكن يدخل في الموازنة بين الحسنات والسيئات.
صاحبه خالد مخلد في النار مع فرعون وقارون وهامان.	لا يخلد صاحبه في النار ماله إلى الجنة حتى لو عذب بمقدار ما معه من شرك أصغر.

فإذا قيل لك ما الشرك الأصغر؟ فهو كما قلنا هو ما يتعلق ببعض الألفاظ كالحلف بغير الله، أو قول ما شاء الله و شئت،
أو مطرنا بنوء كذا وكذا، وبعض الأعمال من اعتقد شيئاً سبياً وليس سبب كالذي يربط الحلقة والخيط أو يستعمل التمايم والرقى علي وجه معين فهذا يدخل في الشرك الأصغر.

ثم قال المصنف رحمه الله

فإذا قيلَ لك: مَنْ رَبُّكَ؟ فقل: رَبِّي اللهُ الذي ربّاني وربّي جميعَ العالمينَ بنعمِهِ، وهو معبودي ليس لي معبودٌ سواه، والدليلُ قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [1] وكلُّ ما سِوَى اللهِ عَالَمٌ وأنا واحدٌ من ذلكَ العالمِ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ؛ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

انتقل الشيخ إلي مقام آخر وقد قيل إن هذا هو مبدأ الأصول الثلاثة وما تقدم يضاف إليها وأي كان فالكلام بمأثل بعضه بعضا. فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب علي الإنسان معرفتها؟ سلك الشيخ مسلك السؤال والجواب

إن طريقة السؤال والجواب تنشط الذهن السامع وتذهب عنه البلادة .

والأصول : جمع أصل، وهو ما يبنى عليه غيره ، ويقابله الفرع. فينبغي لطالب العلم إن يضبط الأصول والقواعد ثم بعد ذلك يشتغل بالفروع والمفردات وإياك يا طالب العلم أن تعكس فان طلبة العلم من يشتغل بجمع والتقاط المتناثرات من مسائل العلم قبل أن يضبط الأصول والقواعد.

ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟

هذه الأصول لم يؤصلها الشيخ من نفسه وإنما اقتبسها من حديث نبوي صحيح وهو حديث سؤال الميت الذي رواه

البراء بن عازب وغيره ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأن الإنسان إذا وُضِعَ في قبره أناه ملكان فيقعدانه فيسألانه ثلاثة مسائل: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فأما المؤمن فيقول: ربي الله، والإسلام ديني، ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيي ، حتى تلا النبي صلى الله عليه وسلم " يثبت الله الذين آمنوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة " ، وأما المنافق فيقول ها ها لا أدري سمعتُ الناس يقولون شيئاً

فقلته ، ويُضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ، فأما المؤمن فيُفسح له في قبره مُد بصره إلى آخر ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من النعيم ، وأما الكافر فيُضرب بِمِرْزِيَةٍ من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلان " ولهذا عدَّ الشيخ هذه الأسئلة التي يسأل عنها الميت أصولاً ، وليس بأن يعرف الإنسان السؤال والجواب ولكن بأن تستقر في القلب .

فقل معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم فيجب علينا أن نعرف ربنا بمقتضى أسمائه وصفاته ، فأعظم طرق معرفة الله هي عن طريق السمع وذلك عن طريق ما أورده الله في كتابه وما أثبتته النبي صلى الله عليه وسلم في سنته ، الطريق الثاني لمعرفة الرب نعرفه عن طريق مخلوقاته وما بث في الكون كما قال الله تعالى " أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء " " قل انظروا ماذا في السموات والأرض " " أفلم يسيروا في الأرض " إلى غير ذلك من الآيات التي تدعو إلى إكمال الفكر والنظر والتدبر فإن من سرَّح طرفه في هذا الكون وجدَّ من الدلائل العظيمة التي تعمر قلبه بالإيمان وتزكيه وتطيبه وتُعَلِّي قيمة الإيمان في قلبه فهذه دلائل مادية حسية ناتجة عن النظر والتفكير في ملكوت السموات والأرض ، الطريق الثاني لمعرفة الرب عز وجل النظر في آياته الشرعية أي كتاب الله عز وجل بما يلقى الله في قلب المؤمن من الفتوحات الإيمانية التي يلقها الملك إلى قلب ابن آدم فإن الله تعالى قد وكل لكل إنسان ملكاً ووكل به قريناً من الجن فالملك يفتح له من الفتوحات الإيمانية كما أن قرينه الجني يفتح عليه باب الشك والريبة والحزن ، معرفة الدين وهو أصل عظيم وهو الأصل الثاني ، فيجب أن تعرف أن هذا الدين الذي تنتمي إليه هو دين الله الوحيد في الأرض وهو دين الإسلام لا دين سواه ليس لله دينٌ إلا دين الإسلام ، ليس لله دينٌ يسمى النصرانية ولا اليهودية اعلموا يا رعاكم الله أن النصرانية هو ما آل إليه دين عيسى عليه السلام بعد أن حرفة الرهبان وأما اليهودية هي دين موسى عليه السلام بعد أن حرفة الأخبار أما ما جاء به موسى وعيسى عليهما السلام فهو دين الإسلام ولكنه الإسلام بالمعنى العام ، فلذلك نقول إن دين الله واحداً كما قال تعالى " إنَّ الدين عند الله الإسلام " فلذلك ينبغي أن تعلم أنك على دين الإسلام الذي بعث به الأنبياء جميعهم والذي يعني من حيث العموم الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك ، ثم بالمعنى الخاص وهو التزام ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من العقائد الصحيحة والشرائع العادلة والأخلاق القويمة والآداب العالية ، ولذلك يجب التفقه في الدين فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال " من يُرد الله به خيراً يفقه في الدين " ولأصل الثالث وهو معرفة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه بعث إلينا وإلى جميع الخلق قال تعالى أمرا نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجهر بها في العالمين " قل يأيتها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يُحيي ويموت فامنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون " هذا إعلان عالمي للناس جميعاً إنسهم وجنهم برهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم كتابيهم ومشرِكهم للناس جميعاً دعوى

إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم هذه هي الأصول الثلاثة التي يُسئل عنها العبد في قبره ، ثم قال الشيخ الله : فإن قيل لك هذا تفريعٌ عن السؤال الأول فإن قيل لك من ربك فقل ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه ، أرد الشيخ أن يعرف الرب بأصل المعنى الأول اللغوي بمعنى التربية فالترية من التنشئة شيئاً فشيئاً رويداً رويداً فقل ربي الله الذي رباني " رباني أي خلقه وأعده وأمدّه ورزقه ، وربى جميع العالمين بنعمه ، لأنه الخالق لا خالق سواه المالك والرازق لا مالك ولا رازق سواه والمدير لا مدير سواه ، وربى جميع العالمين بنعمه حتى الكافر نعم حتى الكافر وذلك أن الشيخ - رحمه الله - ذكر العالمين ومن العالمون العالمين أو العالمون جمعُ عالم والعالم هو كل من سوى الله ، كل من سوى الله من الآدميين والملائكة والبهائم والطير والدواب والحشرات وما نرى وما لا نرى كلهم عالمين ، وهو معبودي ليس لي معبود سواه ما أحمل هذا القرآن والربط فهو سبحانه هو الرب ولما كان رباً كان مستحق للعبادة إذ كيف يعبد غيره وهو الذي ربانا ورب جميع العالمين بنعمه استدل - رحمه الله - بأول آية في سورة الفاتحة " الحمد لله رب العالمين " فالحمد هو وصف الله بصفات الكمال ونعوت الجلال ، لأن من العلماء من يعرف الحمد بأنه الثناء على الله ، نقول إن تكرر الحمد صار ثناءً والدليل حديث الفاتحة وفيه " إذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدي عبدي فإذا قال الرحمن الرحيم قال الله أثني علي عبدي " قال وكل ما سوى الله عالم وأنا واحد من ذلك العالم إذن الشيخ يلقي طالب العلم الجواب الصحيح المطابق للواقع ثم أردف ذلك بسؤال ثالث فإذا قيل لك بم عرفت ربك وكل ذلك لمزيد التحقيق فما الأدوات التي دلتك وسأقتك إلى معرفة ربك فقل بآياته ومخلوقاته والشيخ رحمه الله لم يُرد بذلك حصر الطرائق وإنما أراد أن يُبين أدناها وأسهلها تناولاً فقال بآياته ومخلوقاته.

والآيات : جمع آية ، والآية هي العلامة .

وآيات الله تعالى تنقسم إلى قسمين :

(١) آيات كونية.

(٢) آيات شرعية.

(١) الآيات الكونية : هي ما بث الله في هذا الكون من العلامات الدالة على قدرته مثل السماوات والأرضين والشمس والقمر والجبال والشجر والدواب.

(٢) الآيات الشرعية : هو ما أنزل الله بين دفتي المصحف من هذه الآيات المحكمة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ولهذا يمكن أن نقول ومخلوقاته من باب عطف الخاص على العام ، لأن المخلوقات في الواقع نوع من الآيات ، قال ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ومن مخلوقاته السماوات السبع ومن فيهن وما بينهما ، لعل الشيخ - رحمه الله - اختار أن يُمثل للآيات بما يقع فيه من نوع تكرار وتحدد ولذلك ذكر الليل والنهار والشمس والقمر لأنها أحوال تتوالى فيحصل فيها

الإعلام لكثرة ورودها وتجدها وتعاقبها وذكر المخلوقات بأشياء ثوابت فقال السموات السبع والأرضون ومن فيهن وإلا فإن الكل في الواقع يصدق عليه بأنه آيات الله وبصدق عليه أنه مخلوقات لكنه رحمه الله لعله لاحظ في المجموعة الأولى ما أن فيها معنى التجدد والتعاقب وفي الثانية معنى الثبات والدوام فهذه آيات الله ومخلوقاته ثم ساق الدليل {ومن آياته الليل والنهار الشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر إن كنتم إياه تعبدون} فمن منا رأى هذه الآيات وأحدثت في قلبه عبادة وانتعاشه يقول تعالى {الم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا وخلقنكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنت ألفافا} ينبغي المؤمن الحصيف أن يستعمل هذه الآيات في إذكاء إيمانه وتقوية يمينه فيستفيد من هذه الآيات الموجودة في الكون لتقوية الإيمان ولا تمر عليه مروراً عابراً لا ينتفع بها وقال تعالى {لا تسجدوا للشمس والقمر} وذلك لأن هناك من قد سجد للشمس والقمر فئة من الناس فمن الناس من كانوا يعبدون الشمس ومنهم من كانوا يعبدون القمر قال تعالى {واسجدوا لله} لأن السجود علامة العبادة والإخلاص لله تعالى الذي خلقهن خالق هذه المخلوقات أحق بالعبادة كيف يعبد المخلوق ويترك الخالق وقوله تعالى {إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام} فهذه الأيام الستة كما قال تعالى {وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون} فالله تعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام {ثم أستوى على العرش} أي من بعد أن فرغ الله من خلق السموات والأرض على فوق عرشه سبحانه وتعالى علوا يليق بجلاله وعظمته {يغشى الليل النهار} أي أن الله عز وجل يجعل الليل يغشى النهار ويغطيه {ويطلبه حثيثا} لأنها حركه دائمة وتتابع مستمر يطلبه حثيثا أي سريعا كأنما يطرده {والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر} لما كان سبحانه وتعالى له الخلق فهو الجدير الحقيقي بالأمر هو الذي يأمر أمرا كونه أمرا شرعيا لأنه هو الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة ، فل يليق أن يكون الخلق والأم لغيره هذا لا يستقيم لما كان الخلق له كان الأمر له {تبارك الله رب العالمين} البركة :/ معناها النماء والزيادة . ومثل هذا التعبير لا يكون إلا في حق الله عز وجل {تبارك الله رب العالمين}

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ، والدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢]، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة.

يقول الشيخ - رحمه الله - والرب هو المعبود . لم يرد الشيخ - رحمه الله - أن يعرف الرب بأنه المعبود وإنما مراده والرب هو المستحق للعبادة أي لما كان ربا خالقا مالكا مدبرا كان هو المستحق للعبادة فإن المعبود هو معنى ((المألوه)) فالرب هو المعبود أي بمعنى هو المستحق للعبادة ما الدليل على كون الرب الخالق المالك المدبر هو المستحق للعبادة دونما سواه الدليل على ذلك أول أمر في كتاب الله وما هو أول أمر في كتاب الله ؟ هو هذه الآية { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُم } أنزل الأمر بعبادته بما تسمعون { الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون } إذن هذا دليل على أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد العبودية وأن توحيد العبودية متضمن لتوحيد الربوبية فمن أقر بأن الله تعالى هو الرب الخالق المالك فإن من لازم ذلك أن يوحد بالعبادة وهذه طريقة القرآن في إلزام المشركين بتوحيد الله عز وجل { الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون } أي يحصل لكم وقاية { الذي جعل لكم الأرض فراشا } هذه الأرض جعلها مهادا موطأة للسير عليها { والسماء بناء } السماء سقف مبني كما قال تعالى { وجعلنا السماء سقفا محفوظا } وهي بناء محكم { وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم } نزول يقابله نبات حركات متقابلة تدل على سعة خلق الله سبحانه وتعالى أي إذا كان الأمر كذلك وأنتم مقرون بذلك فلا يستقيم أن تجعلوا لله أندادا والأنداد جمع ند وهو النظير والمثيل والشبيه فكيف يليق بكم أن تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ما سبق لأجل هذا قال ابن كثير أحد أئمة التفسير وعماد الدين ابن عمر القرشي الدمشقي صاحب التفسير وهو من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيميه مفسر محدث فقيه قال (الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة) فهذه من طرق القرآن الواضحة الملزمة للمخالف وهو إثبات توحيد العبادة بالإقرار بتوحيد الربوبية .

الأسئلة:

س: / ما حكم لبس ما يسمى سوار ابن سينا لعلاج الروماتيزم حيث يوجد في الصيدليات بكثرة ؟
 هنا قاعدة نود ذكرها وهي (أن كل من نصب سببا لم ينصبه الله سببا فقد وقع في الشرك الأصغر كل من أعتقد شيئا سببا لم ينصبه الله سببا شرعيا ولا حسيا فقد وقع في الشرك الأصغر ، لأنه أحال إلى شيء لم يجعل الله فيه تلك السببية ، ثم ننظر هل هذا الذي ادعى فيه أنه سبب هل فعلا فيه معنى السببية أم لا . نبينا صلى الله عليه وسلم (لما مطروا ليلة فقال قوم مطرنا بنوء كذا وكذا وقال آخرون مطرنا بفضل الله ورحمته ، لما أصبح قال : أتدرون ماذا قال ربكم ، قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فهذا مؤمن بي كافر بالكوكب ومن قال مطرنا بنوء كذا وكذا فهذا كافر بي مؤمن بالكوكب) انتهى الحديث ، وما شأن الكوكب بالمطر . إذن من اعتقد شيء سببا وهو ليس بسبب فقد وقع في الشرك الأصغر . ولهذا فإن هذا السوار إن كان حقا له أثر صحي يثبتته علماء وظائف الأعضاء أنه فعلا يمتص الشحنات ويقلل من كهرباء الجسم إلى غير ذلك لا بأس لأن ذلك مقرون بسبب مدرك متعقل وأما إذا كان هذا مجرد دعوى فلا يجوز استعماله ولا اعتقاد ذلك لأنه من الشرك الأصغر والذي يغلب على ظني أن الله سبحانه وتعالى لما خلق الإنسان في أحسن تقويم أغناه عن شيء خارجي لامتناع الشحنات وغير ذلك وأن الإنسان يستقيم بخلقته التي جعله الله عليها ولا يوجد ما يسمى بشحنات زائدة فإن ما قد يقع من شحنات يمكن أن تتسرب عن طريق الاحتكاك والملامسة وغير ذلك الذي أرى أن لا يستعمل هذا السوار ولو لم يكن إلا من باب الحيلة.

وأنواع العبادة التي أمر الله بها: مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان؛ ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرغبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر.

..... أن الدين يشمل هذه المراتب الثلاث الإسلام والإيمان والإحسان وسوف يأتي إن شاء الله تعالى فيما نستقبل من كلام المصنف نزيد بياناً لهذه الألفاظ الشريفة الثلاثة وبيان العلاقة بينها من عموم وخصوص، لكن هاهنا الشيخ رحمه الله دخل في ذكر بعض أنواع العبادة فقال: ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء والتوكل، والرغبة والرغبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر.

كم عد الشيخ رحمه الله؟ أربعة عشر معظمها عبادات قلبية إن لم تكن كلها وذلك لأن العبادات القلبية أشرف أنواع العبادات على الإطلاق، ذلك أن القلب هو ملك الجسد والأعضاء له جنود، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده، كما قال نبينا -صلى الله عليه وسلم- ألا وإن في الجسد مضغة -أي بقدر ما يمتص الماضغ صغيرة بحجم قطعة اللحم- إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب، القلب أيها الإخوان هو بيت الرب في العبد كما أن الكعبة هي بيت الرب في الأرض، هذا القلب هو أشرف ما فيه، فينبغي أن يحتوي وأن يظم أشرف ما عنده، وأشرف ما يمكن أن يكون عند العبد هو العلم بمقتضى أسمائه وصفاته وأن يتحرك هذا القلب لأداء وظيفته التي خلقها الله له، للقلب وظائف وظيفه حسية مادية وهي ضخ الدم إلى الأعضاء، كما أن وظيفة العين الإبصار ووظيفة الأذن السمع ووظيفة اليد البطش والأخذ والتناول، ووظيفة القدم السعي، لكن وظيفة القلب المعنوية هي العلم بالله معرفته محبته خشيته التوكل عليه الرغبة إليه، فلهذا كان الموفق من عباد الله من يجعل قلبه مستودعاً لهذه المعاني الشريفة، إذا كان عندك في متلك جواهر ولآلئ ووثائق وأشياء كريمة تحرص عليها أين تضعها؟ تضعها في أشرف موضع في البيت، لا تضعها -أكرمكم الله والمكان- في دورات المياه أو في أطراف المنزل بل تضعها في قلبه ولبه، لا يليق بك أيها المؤمن أن تجعل قلبك ميداناً للجاهلات والشهوات والشبهات والغفلات والحقد والغل، كم من القلوب ما يكون يسرح فيه الشيطان جيئة وذهاباً ويكون مزمراً ووقوداً للحقد والغل وسوء الظن، أعمر قلبك بما خلقها الله من أجله بالعلم بالله بمحبته بخشيته، هذه هي العبادة الحقيقية، فإذا أحسن قلبك أداء وظيفته انقادت له الجوارح، خفت نفسك إلى.....، هان عليها مفارقة الشهوات أحسست بطعم الحياة ووجدت عقبها الحقيقي، ولهذا كان الصالحون من عباد الله يعتنون بقلوبهم قبل عنايتهم بأعمالهم، يصلحون قلوبهم أولاً بالعلم

النافع بصفاتها حتى تكون ناصعة لا يكون لله تعالى شرك فيها ، فالإيكم هذه المعاني العظيمة التي عد الشيخ -رحمه الله- سيذكرها واحدة واحدة قال :

وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى والدليل قوله تعالى {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} {

ابتدأ الشيخ -رحمه الله- بأجل هذه العبادات وأبينها في الدلالة على العبودية ألا وهو الدعاء فقال وأن المساجد لله ، المساجد تطلق على مواضع السجود أو آلة السجود التي هي أعضاء السجود ، فمواضع السجود تسمى مساجد كهذا المكان الرحب الطيب الذي نحن فيه وتطلق أيضاً المساجد على أعضاء السجود ، الأعضاء السبعة التي يسجد عليها المؤمن ، وأن المساجد لله وعبر بالسجود عن بقية الصلاة ؛ لأنه من أشرف أركانها فأقرب ما يكون العبد من الله وهو ساجد ولما كان شريفاً معبراً عن كمال العبودية لله حيث يضع الإنسان أشرف ما فيه على الأرض أخضعنا لله -عز وجل- كان هو الموضع المناسب لدعاء رب العالمين ففي الحديث الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : ألا وإني نهيته أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً فأما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فأكثر فيه من الدعاء فقم من أن يستجاب لكم ، فمن يعني حري أن يستجاب لكن ، فلهذا قال وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ، إذاً يجب أن يصرف الدعاء لله وحده فمن دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد تلطخ بالشرك الأعظم المخرج عن الملة ، الدليل الثاني {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} تأمل ومن يدع مع الله إلهاً لاثماً نكرة جاءه في سياق الشرط ، والقاعدة أن النكرة إذا جاءت في سياق الشرط فإنها تدل على العموم أي أي إله وطبعاً إطلاق الإله على ما سوى الله عز وجل من باب حكاية الحال والواقع وإلا فإنه لا يستحق الألوهية إلا الله سبحانه وتعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا سماءها الله آلهة ، لكنها آلهة بغير حق الإله بحق هو الله وحده لا يمكن أحد أن يكون إله بحق إلا الله فلهذا قال : ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به ، هذه الجملة جملة لا برهان له به تسمى عند العلماء صفة كاشفة ، ليست قيداً ما معنى هذا الكلام؟

أي ما في نوع من الآلهة عليه برهان ونوع من الآلهة ليس عليه برهان لا يوجد سوى الله عز وجل إله على إلهيته برهان أبداً ، إذاً قوله لا برهان له به هذا صفة كاشفة ؛ لأنه لا يمكن أن يوجد معبود سوى الله يقوم عليه دليل وبرهان مستحيل قال فإنما حسابه عند ربه هذه الجملة منطوية على معنى التهديد والوعيد بدليل قوله إنه لا يفلح الكافرون والفلاح ما هي حقيقة الفلاح؟ يعني من أعظم أسباب تحصيل العلم كما قال الله - عز وجل - : {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} فإنما يُغتَنَم العلم بالإصغاء وإقبال القلب ، الفلاح حقيقة الفوز بالمطلوب والنجاة من المرفوض هذا هو الفلاح فلذا قال الله إنه لا يفلح الكافرون إي والله ؛ لأن مآل الكافر إلى

خسر ماله أن يكون في الدرك الأسفل من النار فدلّت هاتان الآيتان على وجوب توحيد الله تعالى بالدعاء وعدم صرفه لغير الله تعالى ، وثنى الشيخ بذكر دليل من السنة وهو الحديث المروي الدعاء مخ العبادة ، والواقع أن هذا الحديث فيه ضعف وأصح منه إسناداً قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: الدعاء هو العبادة ، وأما حديث الدعاء مخ العبادة الذي رواه الترمذي وغيره فقد استغربه الترمذي وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه و يغني بحمد الله مما يدل على ذلك قول الله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} فسمى الله تعالى الدعاء عبادة تأمل وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي لم يقل إن الذين يستكبرون عن دعائي فدل ذلك على أن الدعاء عبادة بل هو العبادة بل هو في الحقيقة فعلاً لب العبادة وذلك أن حال الدعاء يدل على افتقار العبد إلى خالقه واطراحه بين يديه وشعوره بكمال غنى الله تعالى وافتقاره واضطراره إليه فلاجل ذا كان الدعاء هو العبادة وكان صرف الدعاء لغير الله شرك أعظم ، فإذا رأيت من يدعو غير الله فاعلم أن قلبه معطوب ، ما الذي حمل هذا الإنسان أن يدع الله الذي بيده الضر والنفع والمنع والإعطاء والعز والذل والغنى والفقر والصحة والمرض ويلتفت إلى غير الله؟ لاشك أن هذا خلل عظيم وداء وبيل أن يتلى الإنسان بهذا الأمر وللأسف فإن الشيطان قد أضل فئام من بني آدم فحملهم على دعاء غير الله وزين لهم ذلك فصاروا يتخذون الأصنام على هيئات متنوعة ويزعمون أنها وسائط بينهم وبين الله - عز وجل - وأول ما ظهر ذلك في قوم نوح فإن قوم نوح كانوا فيما مضى على التوحيد وكان بين آدم ونوح عشرة قرون وخلال هذه القرون المتطاولة جعل الشيطان يفتل في الذروة والغارب على هؤلاء الناس حتى أنه زين لهم تعظيم بعض الصالحين من المتقدمين ود و سواع و يغوث ويعوق ونسرا وقال للناس : هؤلاء المدعوون لهم جاه عند الله ومثلة فلو أنكم ذهبتم إلى المواضع التي كانوا فيها ونصبتم فيها أنصاباً حتى إذا رأيتموها نشطكم ذلك على العبادة وتذكروهم وهذا مدخل لطيف كما ترون الشيطان لا يأتي للناس مباشرة ويقول أشركوا بالله وإنما يتلطف في تسويق باطله فزين لهم ذلك فصنعوا التماثيل ونصبوها في مواضعها ، فلما أندرس ذلك الجيل وجاء جيل بعده أتى الشيطان إليهم وقال ادعوه هؤلاء لهم جاه عند الله فادعوهم لكي يتحقق ما تريدون فدعوههم من دون الله فوقعوا في الشرك الأعظم ، فجاء نوح عليه السلام لهذا الغرض ، ثم إن هذه الأصنام والعياذ بالله بعد طمرها الطوفان واختفت عاود الشيطان الكره حتى بعثت من جديد في جزيرة العرب فأتى الشيطان إلى عمرو بن لحي الخزاعي أول من أدخل الشرك في العرب أتاه في المنام وقال له : إيت جده تجد أصناماً معدة ، فذهب إلى الموضع الذي ذكر له الشيطان وكشف عن هذه الأصنام وبثها في الناس فعاد الناس إلى دعاء غير الله - عز وجل - إذاً من أعظم مراتب العبادة الدعاء فيجب أن يخلص العبد دعاءه لله رب العالمين وألا يلتفت إلى غير الله لكن ينبغي أن نعلم أن الدعاء الذي هو فيصل التفرقة بين التوحيد وبين الشرك هو أن

يدعو العبد ربه فيما لا يقدر عليه إلا هو فإن صرفه لله فقد سلم من الشرك وإن دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد وقع في الشرك الأعظم الذي لا يغفره الله مثل ماذا؟ كأن يدعو ميت أو يدعو غائباً أو أن يدعو حاضراً فيما لا يقدر عليه ذلك الحاضر ، هذه ثلاثة أنواع أن يدعو ميتاً إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم أو أن يدعو غائباً غير موجود كيف تناجي غير موجود أو أن يدعو حاضراً لكن ليس من شأنه ذلك كأن يقول له يافلان ارزقني يافلان اشفني يافلان فهو لا يملك ذلك ، فهذه الصور الثلاث صور مخرجة من التوحيد مدخلة في الشرك ، أما إن دعا غير الله فيما يقدر عليه ذلك الغير فهذا ليس بشرك فإذا دعا واحداً من الناس في أمر من الأمور التي يقدر عليها فلا حرج ، لو قال لرجل بين يديه طعام يافلان أطعمني ليس شركاً لو قال لرجل : يافلان أسقني ليس شركاً إذا صار الشرك هو ما يتناول الصور التي ذكرنا وهو أن يدعو ميتاً أو أن يدعو غائباً أو أن يدعو حاضراً في أمر لا يقدر عليه إلا الله عز وجل ، ثم ذكر الشيخ رحمه الله ، وقبل أن تغادر هذا ينبغي أن نعلم أن الدعاء نوعان دعاء عبادة ودعاء مسألة أيهما أشهر ؟ الثاني دعاء المسألة وهي طلب حصول الحاجات وتحقيق الرغبات فهذا كثير في بني آدم أن يدعو الإنسان بالرزق بالصحة بالذرية بالرفعة بأي أمر من الأمور هذا يسمى دعاء مسألة والنوع الثاني دعاء العبادة وهو أن يتقرب لله عز وجل بما أوجب عليه من الطاعات يرجو بذلك ثوابه ويخشى عقابه أو أن يتملق إلهه و معبوده بالثناء عليه دون أن يذكر مسألة كيف ذلك حينما يمثل أمر الله ويحتجب به مستصحباً أنه يرجو بذلك أن يبلغه جنته أو أن يصرف عنه عذابه أو أن يصلح حاله ويدفع عنه السوء ، فهذا وإن لم يدعو بمسألة فهو دعاء عبادة ؛ لأنه يعلم أن الله تعالى نصب هذا العبادات سبباً موصلاً إلى الحياة الطيبة في الدنيا وإلى الفوز في الجنة في الآخرة ، الصورة الثانية لدعاء العبادة أن يُثني على الله تعالى بما هو أهله من صفات الكمال ونعوت الجلال كما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقوم في صلاة الليل فيقول اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيوم الأرض السماوات ومن فيهن ولك الحمد أنت فاطر السماوات والأرض ومن فيهن ، هل سأل شيئاً هل طلب شيئاً كلا لكنه يناجي ربه ويثني عليه بما هو أهله هذا عبادة ودعاء عبادة وقد قال ربنا سبحانه وتعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} ودل هذا أيضاً على أنه ينبغي للداعي أن يدعو الله تعالى بالاسم المناسب للطلب فإذا كنت تريد من الله تعالى أن يعفو عنك ، ما الذي ينبغي أن تقول؟ هل يستقيم أن تقول ياذا البطش الشديد اعفو عني؟ لا يستقيم ولكن قل اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفو عني إذا أردت من الله الرزق تقول يا رزاق أرزقني وهكذا فاختر الاسم المناسب للطلب المناسب ولهذا أنعم الله تعالى علينا بتسعة وتسعين اسماً يمكن إدراكها واستخلاصها من نصوص الكتاب والسنة لكي ندعو الله تعالى بها ، فالدعاء عبادة من أجل العبادات لمن تذوقه ووفق إليه حتى أن من يدعو الله عز وجل من العارفين بالله عز وجل يجد لذة نعيمًا في

مناجاة ربه في الأسحار وفي السجعات ويتبين لنا سوء حال كثير من الناس الذين ابتلوا بدعاء غير الله وهذا أمر وللأسف وقع لفئام من المسلمين حيث زين لهم الشيطان عن طريق مشايخ السوء وسريرة الأموات المنتفعين بها أن ينصبوا القباب والمشاهد على هذه القبور وغيرها ويغروا هؤلاء العوام بدعائها وترك دعاء الله - عز وجل - واعلموا أنه لا شيء أكرم على الله من الدعاء ، وأنه ما من عبد يدعو الله في الأرض دعوة إلا أعطاه بما أحد ثلاث خصال ، إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يصرف عنه من الشر مثلها ، وإما أن يدخرها له أحوج ما يكون إليها ، فلا يضيع على الله دعاء ، وقد قيل : الرب يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يُسأل يغضب ، عجيب الأمر كذلك ، الأدمي إذا دعوته مرة مرتين تبرم منك وتضايق ، الله تعالى لو تركت دعائه لغضب عليك كما جاء ذلك في الحديث

ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

أما المقام الثاني فهو مقام الخوف والخوف معروف أيها الإخوة وهو توقع مكروه عن إمارة أو علامة مظنونة أو معيوبة ، إذاً الخوف حقيقته / توقع أمر مكروه ، وضد الخوف الأمن ، والخوف عبادة الخوف انفعال يقع في القلب وهو من العبادات ، والدليل على أن الخوف عبادة قول الله عز وجل - كما استدلل الشيخ رحمه الله {فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} جعل ذلك شرطاً في الإيمان وأول هذه الأعيان {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} ما معنى يخوف أولياءه؟ أي يخوفكم بأوليائه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ، فدل ذلك على أن الخوف عبادة ، والخوف أيها الإخوة أنواع منه خوف العبادة ومنه الخوف الطبيعي ومنه الخوف المحرم ونضرب لذلك أمثلة حتى يتميز ما يوقع في الشرك مما يوقع في الحرام مما هو مباح نبتأ بأدناها وهو الخوف الطبيعي ، الخوف الطبيعي هو ما جبل الله تعالى عليه الآدميين من الخوف من الأمور الضارة كالخوف من السبع والحية والنار والعدو فهذا خوف طبيعي وهو يقع لكمل الناس ، حتى أن موسى عليه السلام لما ألقى العصا وانقلبت ثعبان ولى مدبراً ولم يعقب حتى قال الله له : (أقبل ولا تخف) إذاً ثم خوف طبيعي ركبته الله تعالى في بنية ابن آدم دوام سلامته وضمان الجنس الإنساني ولو لم يكن عند الإنسان خوف لهلك الناس منذ القدم ؛ لأن الخوف يحمل ابن آدم على أن يتقي ما يضره ولو لم يكن في قلبه هذا الدافع وهذا الوزع لوقع في المهلكات إذاً هذا نوع مباح لا يلام عليه صاحبه ، النوع الثاني هو الخوف المحرم وهو ما منعك من فعل واجب أو حملك على الوقوع في محرم فهذا الخوف لا يجوز ، فإذا كان عند الإنسان خوف مبالغ فيه ومنعه من فعل ما أوجب الله تعالى عليه وأوقعه فيما حرم الله تعالى عليه فهذا خوف محرم لكنه لا يبلغ به مبلغ الشرك ، أضرب لذلك مثلاً ، مثلاً وجب الجهاد على المسلمين واستنفرهم الإمام وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- وإذا استنفرتم فأنفروا ، فمنع الخوف بعض آحاد المسلمين من القيام بهذا الواجب فهذا الخوف محمود أم مذموم؟ هذا الخوف مذموم لأنه حال بينه وبين فعل ما أوجب الله تعالى عليه ولهذا يعني حذر الله عباده وقال : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} لما قعدوا عن الجهاد خوفاً على أهليهم وأزواجهم وأولادهم ، أما النوع الثالث وهو بيت القصيد فهو خوف العبادة ويسمى أيضاً خوفاً من الشرك ؛ لأن محله القلب لا يطلع عليه إلا العليم بالأسرار ، خوف العبادة هو أن يخاف من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فمن وقع منه ذلك فقد وقع في الشرك الأعظم أن يخاف من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله كأن يخاف من جن أو مخلوق أو غير ذلك أن يصيبه بشيء لا يملكه لا يستطيع فهذا الخوف يخاف ينافي التوحيد فلا يجوز صرفه لغير الله عز وجل - يجب على الإنسان أن يعلم أنه لا يأتي بالحسنات إلا الله ولا يصرف السيئات إلا الله عز وجل ، فمن خاف غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا هو الخوف الذي يسمى خوف العبادة أو خوفاً من الشرك فلا يجوز صرفه لغير

الله عز وجل وبهذا يتبين لنا أن الخوف مراتب ولعلي أنقل لكم كلاماً بديعاً لابن رجب رحمه الله يقول فيه : القدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم؛ فإن زاد على ذلك؛ بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات والتبسط في فضول المباحات؛ كان ذلك فضلاً محموداً، فإن تزايد على ذلك؛ بأن أورث مرضاً أو موتاً أو وهماً لازماً؛ بحيث يقطع عن السعى في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عز وجل؛ لم يكن محموداً" الخوف المطلوب منا معشر الإخوان الخوف الحمود هو الخوف الذي يحجزك عن محارم الله ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الخوف الحمود ما حجزك عن محارم الله فما زاد فلا حاجة لك به وبيان ذلك أنك تحتاج حصة من الخوف في قلبك تكون رادعاً لك عن غشيان الحرام ، فإذا تحقق ذلك فأنعم وأكرم لا بأس إن زاد قليلاً وحملك على مزيد توق من المشتبهات والمكروهات فهذا نور على نور لكن إن تزايد ذلك الخوف بحيث أفسد عليك عيشك وأقض مضجعك وصرت لا تنأ بعيش فهذا عليك أن تتخفف منه لأنه ليس من هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- بل الواقع أنه يتحول إلى حالة نفسيه غير مراد الشرع ، فبعض الناس مثلاً الذين يدمنون قراءة المواعظ والزواجر ربما يتضاعف عندهم هذا الشعور حتى يسبب لهم قلقاً وأرقاً وبلبله وتشويشاً إلى درجة أنه يعطل عليهم مصالحهم الدينية والدنيوية فلا يهنأ بعيش ونبينا -صلى الله عليه وسلم- وهو سيد الخائفين بأبي هو وأمي -صلى الله عليه وسلم- كان من أطيب الناس عيشاً وأهنأهم مجلساً ، الخوف الذي نحتاج إليه هو الخوف الذي يحجزنا عن محارم الله ومازاد فلا حاجة لنا به.

ودليل الرجاء قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

أما الخصلة التي بعدها فهي الرجاء وحقيقة الرجاء أنه ظن وانفعال يقوم في القلب يقتضي حصول مافيه مسرة ، والرجاء ربما من أقرب من أقرب الكلمات التي تتداولها الأمل الرجاء هو الأمل ، أن يأمل الإنسان حصول شيء محبوب ، هذا الرجاء أيضاً عبادة والدليل على كون الرجاء عبادة قول الله عزوجل {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} رأيتكم كيف أن الرجاء عبادة؟ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل ، إذاً ليس بالأمانى لا بد من العمل فليعمل عملاً صالحاً والعمل الصالح ما جمع وصفين الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ، ثم قال ولا يشرك بعبادة ربه أحداً فدل ذلك على أن رجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك وبهذا نستطيع أن نقول إن الرجاء أيضاً نوعان رجاء عبادة ورجاء مباح ، فرجاء العبادة لا يجوز صرفه لغير الله رجاء الشرك وهو أن يتعلق القلب في سويدائه بالمرجو في حصول منفعة أو دفع مضرة فإن كان ذلك الأمر لا يقدر عليه إلا الله فلا يجوز صرفه لغير الله ، أما إن كان ذلك الأمر مما يقدر عليه الغير فلا حرج فيه ولا بأس بأن يطلب من الغير فإذا قلت لصاحبك أرجوك أعطني الكتاب هذا ليس رجاءاً شركياً إذا قلت أرجوك اسمع لكذا وكذا وهو مما يقدر على صنع ذلك الأمر فهذا ليس رجاءاً شركياً ومع ذلك أيها الإخوان أهل التحقيق وأهل التوحيد البالغ يفحصون رجاءهم حتى إذا طلبوا من غير الله -عزوجل- أمراً ليتحقق على أيديهم لم يفارقهم شعور بأن مسبب الأسباب هو الله -عزوجل- فإذا ذهب مثلاً إلى طبيب يعلم أنه استشاري مشهور ، لا يجد قلبه معلق بشخص هذا الطبيب وإنما يقوم في قلبه أن هذا الذي أمامه سبب ساقه الله تعالى إليه وربما أجرى الشفاء على يديه فقلبه في الحقيقة يستقبل قبلة ربه ولكنه لا ييطل الأسباب يعلم أن الله سبحانه وتعالى هو مسبب الأسباب لا يلغي السبب لكنه لا يغفل المسبب ، لابن القيم -رحمه الله- كلام جميل نتلوه عليكم في الرجاء يقول رحمه الله:

الرجاء حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب وهو الله والدار الآخرة ويُطيب لها السير. وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه. وقيل: هو الثقة بجود الرب سبحانه وتعالى وقد قيل شعراً:

لولا التعلق بالرجاء تقطعت *** نفس الحب تحسراً وتمزقاً

، لولا الرجاء يحدو المطي لما *** سرت بحمولها لديارهم ترجو النقم ، وهناك أيها الكرام فرق بين الرجاء وبين الأمانى ، الأمانى بطاعة الخالق {لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} فرق بين الرجاء والأمانى ، الرجاء مقرون بعمل فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل أما الأمانى فإنها تشوفات وتطلعات غير مقرونة بعمل فلا يلبث أن يرى أن بساط العمر قد طوي ولم

يخرج بطائل ، فإياك أن تقع في هذا المزلق ، مزلق الأمان فإنه لا يوصلك إلى مقصودك إذاً كما ترون ذكر الشيخ رحمه الله عبادتين متقابلتين وهو الخوف والرجاء وهذا من بديع دين الله أن الله سبحانه وتعالى يضبط النفس الإنسانية في معادلة دقيقة بحيث أن هذا القلب يجري في هذا المضمار بين قطبي الخوف والرجاء فالعبد يخاف من الله تعالى خوفاً يحجزه عن معاصيه ويتعلق بربه تعلقاً يحفزه على طاعته ، ويصبح القلب بين هذين متوازن فإذا أقبلت نفسه على الدنيا واستشرفت في مباحها وفتنها جاء الخوف فضربه بسوط لاذع وقال : الجادة إلزم الطريق ، وإذا ادلهمت الخطوب وضائق به السبل ووقع في المضائق جاء نسيم الرجاء فنفس عنه وعلقه بربه وبفرجه ؛ فتنفس الصعداء وتفتحت له الآفاق كل هذا من بركة هاتين العبادتين الجليلتين ولهذا صور العلماء الخوف والرجاء كجناحي الطائر قالوا : إن الخوف والرجاء كجناحي الطائر لو كان أحد الجناحين أكبر من الآخر ماذا يكون في طيران الطائر؟ يجح ، فينبغي أن يكون الحال الغالب على الإنسان تساوي الخوف والرجاء كما قال ربنا -عز وجل-: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} فاضبط نفسك بين الخوف والرجاء ، هناك ثلاثة في الحقيقة هذا موضعها ومحلها ، عبادة ثلاثة سبحانه الله لم يذكرها الشيخ ولعل هذا فوات حرص من العبادات الجليلة وهي من أشرف العبادات القلبية ألا وهي المحبة ولعل هذا فوات حرص لأن العبادات أمهات العبادات القلبية الثلاثة ، المحبة والخوف والرجاء ، وأصل هذه الأنواع الثلاثة وأشرفها ماذا ؟ المحبة ، المحبة أعظم من الخوف والرجاء ؛ لأن الخوف ينقطع ببلوغ الجنة {يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ} وكذلك الرجاء ، أما المحبة فهل تنقطع؟ لا ، محبة المؤمن لربه باقية في الدنيا وتتضاعف في الآخرة والمحبة لا شك أنها من أجل العبادات ودليلها قول الله عز وجل : {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} فمحبة الله عز وجل أشرف أنواع العبادة وقد جاء في الحديث : (أحبوا الله من كل قلوبكم) وكما قلنا في الخوف والرجاء المحبة أنواع ، فهناك محبة طبيعية غريزية مباحة كمحبة الطعام والشراب والولد والوالد والزوجة والزوج وغير ذلك هذه محبة طبيعية لا يلام عليها صاحبها وهناك محبة محرمة وهي أن تحمله المحبة والتعلق بالشئ إلى الوقوع فيما حرم الله فلو أحب مثلاً شرب الخمر أكرمكم الله والمكان وشربه فهذه محبة مذمومة ؛ لأنها أوقعته في معصية الله ، وأما المحبة محبة العبادة السر فهذه لا يجوز أن تصرف لغير الله فمن أحب غير الله المحبة التي لا تنبغي إلا لله فقد وقع في الشرك الأعظم {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} ومن رزق هذه العبادة فصارت في عينه جميع المحاب وجميع الملذات بل وصارت جميع المحاب الأخرى تندرج وتنداح تحت محبة الله -عز وجل- ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب الرجل لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود

في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار ، وبهذا تكتمل الحلقة الثلاثة المحبة والخوف والرجاء فحري بالمؤمن العاقل اللبيب أن يعتني بتحصيل هذه الأمهات ، أمهات العبادات الثلاث المحبة والخوف والرجاء ، وقد صور بعض العلماء هذه الثلاث بالصورة التالية قال : ما مثل ذلك إلا كمثل مركبة يستقلها الإنسان ، هذه المركبة هي المحبة والقائد الذي يقودها هو الرجاء والذي يحجزها عن الحيدة يمنة ويسرة ماهو؟ الخوف ، هكذا نسير إلى الله - عز وجل - هكذا يسير الموفقون إلى - عز وجل - محبة تحملهم إلى خالقهم وبارئهم ومعبودهم يقود هذه المحبة إلى الأمام الرجاء والتعلق بالله عز وجل ويحجبهم عن الحيدة يمنة ويسرة الخوف ، فما أعظم هذه الثلاث الحب والخوف والرجاء .

ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾

ما التوكل؟ حقيقة التوكل اعتماد القلب على الله عزوجل في حصول المطلوب ودفع المرهوب مع فعل الأسباب الموصلة إلى ذلك ، هذه حقيقة التوكل الشرعي ، اعتماد القلب على الله إذا قلب يركن إلى ركن شديد وهو الله -عزوجل- ما هو في الكلام فقط وهذا يتضح لكم في المواقف يتبين من المتوكل على الله حقاً ممن يتوكل بلسان ، إذا ادلهمت الخطوب وضائق السبل وغلقت الأبواب حينئذ يهرب القلب يفرع يمنة ويسرة ، فمن كان فزعه إلى الله -عزوجل- معتقداً بأنه لا يأتي بالحسنات إلا الله ولا يدفع السيئات إلا الله -عزوجل- ولم يمنعهم شعوره ذلك من اتخاذ الأسباب التي نصبها الله أسباباً فهذا المتوكل حقاً ، وأما من اتكأ على أريكته وقال : أنا متوكل ولم يفعل سبباً فهذا متواكل وليس متوكل فلا بد في التوكل من فعل الأسباب ، استدل الشيخ رحمه الله على إثبات عبادة التوكل بقول الله تعالى : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ هكذا جاء فيما خاطب به موسى عليه السلام بني اسرائيل حينما قالوا : {أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا} ، فوعظهم وكان في موعظته وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين أو في موضع آخر ، فدل ذلك على أن التوكل شرط في الإيمان وكذلك قول الله تعالى على سبيل الأطلاق : ومن يتوكل على الله فهو حسبه ما معنى حسبه ؟ يعني كافيه ، لاحظوا من فعل شرط يتوكل فعل الشرط جواب الشرط وجزاؤه جملة فهو حسبه ، يعني لو تكفل لبعض الناس بنك من البنوك بضمان بنكي قال خلاص أنا الآن مقنع فكيف وهذا ضمان من رب العالمين أين نحن؟ يقول الله تعالى : {ومن يتوكل على الله فهو حسبه} وتأملوا أن هذه الآية جاءت عند ذكر الرزق فقال الله تعالى سبحانه : {ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدراً} رأيتم؟ ما أحوجنا إلى الإيمان؟! ما أحوجنا إلى استحياء هذه المعاني في قلوبنا لماذا نقلق؟ لماذا نأرق؟ لماذا يلحقنا الهم والغم؟ بسبب ذهاب النفس حشرات في الأسباب الدنيوية ، لكن لو كان العبد مملوء القلب مغموراً بهذه المعاني ، استقر قلبه وسكن باله وهدأ باله ولم يكن عنده ما يدعوه إلى القلق ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، ومن التوكل ما يكون توكلاً يتوقف عليه أمر التوحيد والشرك ، وهو توكل العبادة فهذا لا يجوز صرفه لغير الله فلا يجوز للعبد أن يتوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فلو قال عبد لشخص : توكلت عليك في شفائي أو توكلت عليك في رزقي فقد وقع في الشرك الأعظم الذي لا يغفره الله -عزوجل- وأما التوكل المباح فهو ما يُعرف عند الفقهاء بالوكالة الشرعية بأن يذهب الإنسان إلى كتابة العدل ويقول : وكلت فلاناً ببيع بيتي أو في شراء كذا أو كذا فهذا لا حرج فيه وقد وكل النبي -صلى الله عليه وسلم- عدداً من أصحابه في بعض الأمور

ولم يزل الناس هكذا الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم ، فالناس يقضي بعضهم مصالح بعض بالوكالة ، فهذه وكالة لا حرج فيها ونقول أيضاً : أنه ينبغي لمن وكل غيره بوكالة أن يستصحب في قلبه أن الله - سبحانه وتعالى - هو الذي يبلغه مقصوده وأنه ليس الوكيل الفلاني هو الحاذق البارع الذي يمكن أن يتم عليه المطلوب ، بل يرى أن هذا سبباً نصبه الله تعالى يمكنه من بلوغ مراده هذه أيها الإخوة الكرام أربعة أنواع من أنواع العبادة وللحديث تنمة إن شاء الله بل هي خمسة الدعاء والخوف والرجاء والتوكل وأضفنا إليها المحبة فتلكن منكم على بال إن شاء الله.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
بين يدي هذا الدرس ثم خاطرة :

حينما ترى طالبَ علم يغدو السير نحو المسجد ليحضر درساً علمياً أو تراه يتأبط كتاباً أو يمتشق قلماً أو يقلب الصفحات ، ينبغي لطالب العلم أن يستشعره أنه في عبادة عظيمة ، وأن يأمل و يستبشر بما دل عليه قول النبي : (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل له طريقاً طرقاتاً إلى الجنة) . فعليكم مشاعر طلبة العلم أن تستشعروا العبادة فيما تكتبون وفيما تذاكرون به ، وفيما تخطونه بأقلامكم وترجعونها في مذاكرتكم ، فهذه عبادة عزيزة لا يستطيعها كثير من الناس ، ثم ينبغي على طالب العلم أن يحذر من مزلق ثلاث ، من الملل والهزل والجدل . أم الملل فهو آفة تعترى النفس فرما بدء مشروعه مقبلاً متحمساً مندفعاً ، ثم بعد ذلك دب إلى نفسه هذا الكتب ، فعلى العبد المؤمن أن يذكر قلبه وأن يتعاهد نفسه بالذكرى ، واستذكار النصوص الواردة في فضل العلم وأثره في الدنيا والآخرة ، فيذهب الله تعالى عنه الملل ، ولا بأس أيضاً

أن ينشط قلبه ويروحها بأنواع المروحات التي تذهب عنها السآمة ، أما الآفة الثانية فهي الهزل فإنه إذا أصيب طالب العلم بإصابة الدعابة والهزل حل ذلك عقدة عزم وصار ميالاً إلى الضحك والقهقهة وهبطت همته ، لا بأس بقدر من المزاح والدعابة يحصل بها تنفيس وترويح وكما قيل المزاح في الكلام كالملح في الطعام إن زاد لم يستغ أو لم يطاق وكذا إن فُقد ، أما المزلق الثالث أو الآفة الثالثة فهو الجدل وهو أن يكون عند طالب العلم ميل إلى الانتصار للذات وإحقاق الكلام الذي يراه ، لا نصرة للحق ولا رغبة فيه ، وإنما هو نوع من المغالبة والضاوأة في النقاش ونحو ذلك ، فعلى طالب العلم أن يستحضر من الإخلاص ما يبید هذه المادة السوء التي قد تؤدي به إلى المهالك وتزهده في العلم وتذهب عن بهجته . نسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدينا وإياكم لأحسن الأخلاق وأحسن الأعمال فإنه لا يهدي لأحسنها إلا هو ، وأن يصرف عنا وعنكم سئ الأخلاق و سئ الأعمال فإنه لا يصرف سيئها إلا هو .

المتن:_____ن:

- ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].
- ودليل الرجاء قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].
- ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].
- ودليل الرغبة والرغبة والخشوع قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].
- ودليل الخشية قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠].
- ودليل الإنابة قوله تعالى: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤].
- ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وفي الحديث: «إِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ (١)».»
- ودليل الاستعاذة قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١].
- ودليل الاستغاثة قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].
- ودليل الذبح قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ (١)».»
- ودليل النذر قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

الشرح:_____رح:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد ، الشيخ -رحمه الله- يبين أنواع العبادة المتعلقة بالأصل الأول من الأصول الثلاثة وهو العلم بالله -عز وجل- ، وقد ذكر طرفاً منها ، وقد قدمنا أن أمهات العبادات القلبية ثلاثة وهي المحبة والخوف والرجاء ، وهذه المقامات هي التي يحصل بها تحقيق الإيمان وتحصيله والوصول إلى مرضى الله -عز وجل- ، وينبغي للمؤمن الحصين أن يعتني بهذه المقامات ، وإن مما يؤسف له أن الذين اختطفوا الحديث في هذه الأمور الصوفية ، مع أن الأحق بها والأولى هم أهل العلم النبوي الموروث عن محمد -صلى الله عليه وسلم- ولأجل ذا ينبغي لطلبة العلم أن يكون لهم مزيد عناية في الكلام في المقامات

القلبية وسياقها سياقاً إيمانياً خلياً مما أحدثه المبتدعة من الكلام المزخرف الذي يشينها ولا يزينها ، وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- على هذه الأمور ، ودرج العلماء على تسمية الكلام فيها باسم السلوك ، وأحد مجلدات مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية يقال له السلوك ، تكلم فيها على هذه المسائل ، ومن أحسن ما يرجع إليه في هذا الباب كتاب مدارج السالكين في شرح منازل السائرين التي في منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، وإن كان مؤلف الأصل شيخ الإسلام الهروي - رحمه الله- قد شابه لوثة من صوفية إلا أن ابن القيم رحمه الله لما شرح ذلك المتن شرحه شرحاً سلفياً قائماً على دلالة الكتاب والسنة مدعماً بالآثار الصالحة عن السلف الصالح موجهاً للعبارات الموهمة والمحملة التي يتناقلها أصحاب الطرق عن بعض من يعظمونهم فحملها على المحمل الحسن ، فينبغي لطالب العلم أن يكون له عناية بهذه الأمور كي يصلح قلبه ، وقد ذكر الشيخ -رحمه الله- بقية الأمور أو العبادات القلبية

فذكر الرغبة

ودليل الرَّغْبَةِ والرَّهْبَةِ والخُشُوعِ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾

فقال ودليل الرغبة والرهبة والخشوع هذه ثلاث عبادات قلبية والمقصود بالرغبة الحبة في الوصول إلى المقصود المطلوب هذه هي الرغبة حينما تقول : أرغب في الشيء أي أنك تطلبه فهي حبة الوصول إلى الشيء المطلوب وأما الرهبة فإنها نوع من الخوف لكنه ربما كان خوفاً يقترن به عمل ويُقال عنه في لغة العصر عصر الرهاب فالرهبة نوع من أنواع الخوف كما الخشية أيضاً كما سيأتي ، وأما الخشوع فإنه مأخوذ من قوله انخشعت الأرض كم قال الله -عز وجل- { وترى الأرض خاشعة } ، خاشعة أي مطمئنة وهامدة وساكنة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، إذا فالمقصود بالخشوع هو الذل ، والتطامل والخشوع الشرعي هو الذل والتطامل لله -عز وجل- فلذلك كان عبادة جمع هذه المقامات الثلاث قول الله عز وجل عن جملة من أنبيائه من المصطفين الأخيار الذين ذكرهم الله -سبحانه وتعالى- في سورة الأنبياء: { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } لله درهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ، هؤلاء هم الأمثلة أيه الأخوان و آيتيها الأخوات النماذج هم الأسوة الحسنة التي ينبغي للبشرية أن تنسج على منوالها لا أن يُعظم بعض القاصرين الناقصين ويمجدون ويوصفون بالكملة ، الكملة حقاً من عباد الله هم أنبياء الله تعالى ومن سار على طريقهم ، ولهذا قال تعالى إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ أي أنهم ليسوا فقط يقتصرون على فعل الخيرات بل فوق ذلك يسارعون وذلك أن الإيمان إذا حل في القلب كان كالوقود الباعث الذي يدفع صاحبه حثيثاً للوصول إلى مقصوده فلذا تجد أن أهل الإيمان يحفزهم على إيمانهم باعث قوي ألم ترو أن الله تعالى قد ذكر قصة رجل مؤمن فقال: { وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى } ، هذا السعي نابع من امتلأته بالإيمان ، فتجد المؤمن حياً يقظاً متحركاً بسبب هذه الجدوى التي تعتمد في داخلك { يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً } ، إذاً هذا دليل الرغبة والرهبة وكما قدمنا فإن المؤمن يكون في حال بين الخوف والرجاء بين الرغبة والرهبة ، { أدعوا ربكم تضرعاً وخفية } { أدعوه خوفاً وطمعاً } ، هذه حقيقة الإيمان فالخوف والرجاء والرغبة والرهبة يضاف إليهما الحبة والتعلق بالله -عز وجل- هي أسباب صلاح القلب ولا يجوز الاقتصار على أحدها وترك الباقي فإن ممن يدعون السلوك من يختاروا خصلة واحدة ويدع ما سواها ، فتجد مثلاً من يعبد الله بالخوف وحده وتجد من يعبد الله بالرجاء وحده وتجد من يعبد الله بالحب وحده قال أهل العلم : من عبد الله بالخوف وحده فهو حروري ، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ ومن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ، ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو المؤمن الموحد ، هناك من يعبد الله بالخوف وحده وهذا حال الحرورية الخوارج الذين لا يقرأون إلا نصوص الوعيد ويحجرون رحمة الله تعالى فهم

يعبدون الله بالخوف وحده ، وبإزائهم ومقابلهم المرحمة الذين يوسعون دائرة الرجاء والأمان ويتعلقون بنصوص الرجاء ويغضون الطرف عن نصوص الخوف ، هؤلاء هم المرحمة وهناك طائفة ثالثة وهم غلاة الصوفية الذين يعبدون الله بالحب وحده ويدعون ما سواه حتى إن قائلهم يقول :
ما عبدتك طلباً لجنتك ولا خوفاً *** من نارك إنما عبدتك محبة لك ياسبحان الله إذا كان الخلد من عباد الله يرجون رحمة الله ويخافون عذابه فمن أنت حتى تقول أنا تجاوزت هذا الحد وصرت لا أعبدك لا خوفاً ولا رجاءاً، عبدك بالحب وحده كما قال إمامهم وكبيرهم ابن عربي الطائي الأندلسي قال:
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه *** فالحب ديني وإيماني أما عبادة سيد المرسلين وإمام المتعبدين محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - فإنه يعبد الله بالحب والخوف والرجاء وسائر أحوال القلوب.

ثم قال رحمه الله

ودليل الخشية قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾

ما الخشية؟ الخشية كما أسلفت نوع من الخوف لكنها أخص منه ، ذلك أن الخشية خوف مقرون بعلم ، فهي نابعة عن علم بالمخوف وربما كان الخوف أعم قد يخاف الإنسان مما لا يعلمه ، إذاً فالخشية نوع من الخوف يمكنه مصحوب بعلم يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ، فخشية العلماء لله تعالى مبنية على علمهم بمقتضى أسمائه وصفاته فلذلك كانت خشية مبصرة ، وهذا أعلى وأجل على أن الخوف أيضاً كذلك من المقامات الإيمانية ، وقيل أيضاً إن الخشية ترجع إلى عظم المخشي والخوف يرجع إلى ضعف الخائف ، هذا من حيث التكيف اللغوي إذاً ذكرنا لكم فرقين الفرق الأول أن الخشية أخص من الخوف لأنها خوف مقرون بعلم الفرق الثاني أن يقال إن الخشية مبنية على عظم المخشي والخوف مبني على ضعف في الخائف أياً كان فقد وصف الله تعالى عباده المؤمنين بالخوف والخشية فقال سبحانه وأمر الله عباده المؤمنين فقال: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ إذاً يجب أن نصرف الخشية لله - سبحانه وتعالى - ولا نصرفها لغيره والمقصود بذلك خشية السر أي خشية العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله

ثم قال

ودليل الإنابة قوله تعالى: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوهَآ﴾

ما الإنابة؟ الإنابة المقصود بها الرجوع والعودة استدلل بقول الله - تعالى -: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا﴾ له { ، معنى وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له أي أقبلوا على ربكم بالتوبة وراجعوه بالطاعة ، هذا هو معنى الإنابة وأسلموا له أي اخضعوا له وذلك أن الإسلام نوعان إسلام كوني وإسلام شرعي ، أما الإسلام الكوني فإنه يشمل جميع الخلائق كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ ، فهذا الإسلام لا يخرج عنه أحد فما من ذرة من ذرات الكون إلا وهي خاضعة لرب العالمين مستسلمة منقادة له لا يخرج عن ذلك أحد حتى الكافر هو مسلم على هذا المعنى ؛ لأنه منقاد خاضع لقدر الله الكوني، لا انفكاك له عما يجريه الله تعالى عليه من أقدار ، هذا هو النوع الأول وهو الإسلام الكوني ، ما الإسلام الشرعي فهو الإسلام الطوعي الاختياري الذي يفعله المرء بمحض اختياره وسبق إصراره فيمثل الأوامر ويجتنب النواهي وهذا هو اسلام المؤمنين ، ويتفاوت أهل الإيمان في درجات هذا الإسلام فمنهم من يكمل استسلامه لله فلا يعصي الله تعالى في شيء ومنهم من يثلم إسلامه هذا بنوع معصية لكنه في الأعم الأغلب يكون من

جملة المسلمين ، أي هذين النوعين يحمد صاحبه الكوني أم الشرعي؟ الشرعي لأن الكوني ليس للإنسان فيه دور ولا أساس ، وإنما يحمد الإنسان ويرتب الثواب والعقاب على هذا النوع الثاني الذي هو الإسلام الشرعي.

ثم ذكر الاستعانة فقال

ودليل الاستعانة قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ، وفي الحديث: «إِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»

الاستعانة هو طلب العوذ ، والمرء يا أيه الأخوة الكرام وأبيتها الأخوات الكريمات ضعيف بطبعه {وخلق الإنسان ضعيفاً} فلا غنى له عن مدد خارجي وهو يحتاج إلى هذه المعونة في أموره الدينية وفي أموره الدنيوية لا قيام له ماله بنفسه بل لا بد من مقيم ، ولذلك كانت الاستعانة عبادة كما قال الله تعالى إياك نعبد وإياك نستعين ، حتى العبادة لا بد فيها من معونة الله - عز وجل - وقد قيل:

إذا لم يكن عون من الله للفتى *** فأول ما يجني عليه اجتهداه

وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في وصيته الرقيقة لمعاذ بن جبل قال: "يا معاذ إني أحببك إني أعلمك كلمات لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وعلى شكرك وحسن عبادتك" ، إذاً لا غنى لك أيها المؤمن عن الاستعانة بمعبودك للوصول إلى مقصودك وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - أيضاً: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز" ، إذاً الاستعانة عبادة ولما كانت عبادة لم يجز صرفها لغير الله - عز وجل - فمن استعان بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد وقع في الشرك الأكبر ، أما من استعان بغير الله في أمر يقدر عليه ذلك الغير فذلك ليس شركاً كما تقول لصاحبك مثلاً أعني على حمل متاعي ، أعني على ركوب دابتي ، أعني مثلاً على حل هذا الواجب ، أعني على إتمام هذا البحث فإذا طلب المرء المعونة من غيره فيما يقدر عليه ذلك الغير فهذا ليس بشرك ، أما من استعان بغير الله في أمر لا يقدر عليه إلا الله أو استعان بذلك الغير فيما لا يقدر عليه ذلك الغير كأن يستعين بميت مقبور أو يستعين بشخص غائب فهذا هو الشرك الأعظم الذي يخرج صاحبه من الملة وأما ماسوى ذلك فهو ما بين محمود ومابين مذموم ومبين مباح ، فالحمود منه التعاون على البر والتقوى كما قال الله تعالى: {وتعاونوا على البر والتقوى} ، فهذه الاستعانة استعانة محمود ، والمذموم منه ما كان تعاون على معصية الله كأن يستعين بصاحبه على تهئية أمر محرم ، فهذا محرم لكن لا يبلغ مبلغ الشرك والمباح منه ما جرت به عادة الناس من تخادمهم فيما بينهم.

ثم قال المصنف - رحمه الله -:

ودليل الاستعاذة قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾

أيضاً أيها الكرام الاستعاذة عبادة لله سبحانه وتعالى وحقيقة الاستعاذة طلب العوذ ، والمقصود بالعوذ الاعتصام والالتجاء بالمعصوم به ولما قالت امرأة دخل عليها النبي - صلى الله عليه وسلم - وهي ابنت الجون قالت : "أعوذ بالله منك قال لقد استعذت بمعاد إلقي بأهلك" ، فالاستعاذة المقصود بها طلب العوذ يعني الالتجاء والعصمة وهي عبادة؛ لأن الله تعالى أمر بها عباده فقال لنبيه : {قل أعوذ برب الفلق} {قل أعوذ برب الناس} وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : "أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" ، وقال: "وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي" ، إلى غير ذلك من نصوص الاستعاذة الكثيرة ، اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن إلخ ، فالتعويزات الشرعية كثيرة جداً فلاجل ذلك يجب صرفها لله - عزوجل - فالاستعاذة التي تكون عبادة هي التي لا تطلب إلا من الله - عزوجل - فمن طلبها من غير الله فقد وقع في الشرك الأكبر ، كمن استعاذ بمخلوق فيما لا يقدر عليه ذلك المخلوق ، أما من استعاذ بمخلوق في أمر مقدور له فهذا ليس بشرك وقد جاء في الحديث "يعوذ بهذا البيت عائذ" في إشارة إلى المهدي الذي يخرج في آخر الزمان يعوذ بهذا البيت عائذ وذلك أن البيت الحرام فيها معاذ للناس لأنه لا يحل فيه سفك الدماء إلى غير ذلك من خصائصه ، فعلى هذا لو قال امرأ لصاحبه أعذني من كذا وكذا وذلك الشيء المستعاذ منه مقدور للمخاطب فلا بأس كأن يلحقه مثلاً

لص أو عدو فيقول لصاحبه أعذني منه يعني أحرني منه وأدخلني في حمايتك فهذا لا بأس منه ، أما لو استعاذ به على وجه شركي فهذا لا يجوز ، ومثال ذلك ما حدثنا الله تعالى به في سورة الجن قال الله تعالى: {وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً} ، جاء في سبب نزول هذه الآية أن بعض العرب كانوا إذا نزلوا متراً لا قال قائلهم أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ، يقصد بذلك سيد الجن في ذلك الوادي فيستعيذ به من سفهاء قومه كما زعم ، فمآذا كانت النتيجة فزادوهم رهقاً قال المفسرون: تحتل أحد معنيين ، إما أن الجن زاد الإنس رهقاً يعني خوفاً وعنتاً باضطرابهم إليهم وتضعفهم أمامهم فلم يحسن لهم مرادهم بل زادوهم رهقاً وعنتاً وخوفاً وذعراً وأما أن المراد زاد الإنس الجن رهقاً أي تكبراً وتجبيراً ولا تنافي بين المعنيين فكلاهما حاصل ، فلما استعاذوا بغير الله - عزوجل - فيما لا يقدر عليه إلا الله أورثهم ذلك هذه النتيجة الوخيمة زاد خوفهم وذعرهم وزاد طغيان الجن واستضعفهم إياهم ، وهكذا كل من استعاذ بغير الله ، ألم ترو أن هؤلاء الذين يقصدون السحرة والمشعوذين لا يزيدهم هذا إلا وبالاً فإنهم لا يزالون يتزودونهم ويستضعفونهم و

يسلبون أموالهم ؛ لأنهم يعلقونهم بأمر موهوم ، فيزيدونهم رهقاً كما أخبر الله -عز وجل- إذا هذه الاستعاذة عبادة وأعظم ما استعاذ به المستعيذون هاتان السورتان الفلق والناس ، فقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم- يستعيذ بالله من الجان وعين الإنسان ، فلما نزلت الموعودتان أخذ بهما وترك ما سواهما كما جاء ذلك في الحديث ، فينبغي للإنسان أن يعتني بهاتين السورتين في أورد الصباح والمساء وقبل النوم حتى يحصل بذلك العوذة الشرعي المطلوب ، وعلى الإنسان أن لا يحتفي بهذه الأدعية المزخرفة التي يصطنعها الناس عليه أن يرفع رأساً بالعوذ الشرعية التي دل عليها كلام الله وكلام نبيه - صلى الله عليه وسلم- وأن يقدمها على كل شيء ، تجوز الاستعاذة بالله سبحانه وتعالى أي بذاته وباسم من أسمائه وبصفة من صفاته فيستعيذ العبد بالله تعالى بأن يقول : أعوذ بالله أو باسم من أسمائه كأن يقول أعوذ برب الفلق أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس ، فيكون قد استعاذ بجملة من أسماء الله ويجوز أن يستعيذ بصفة من صفات الله كأن يقول أعوذ بعزة الله ، كما قال نبينا - صلى الله عليه وسلم- أعوذ بعزة الله وقدرته فاستعاذ بصفتين من صفات الله - سبحانه وتعالى - ، أما من استعاذ بميت أو غائب أو حي غير قادر على الإعاذة فهذا ضرب من الشرك وقريب من ذلك الاستغاثة.

قال - رحمه الله - :

ودليل الاستغاثة قوله تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ﴾

إذ هذه حكاية ظرف وحالة جرت للمؤمنين ، أين كان ذلك؟ في معركة بدر ، الاستغاثة هي طلب الغوث وقد جرى ذلك للمؤمنين يوم بدر فإن الله جمع بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد خرجوا يطلبون العير فلقوا النفير ، خرجوا يريدون قافلة أبي سفيان فوجدوا قريش بقضها وقضيضها وعتادها وخيلها ورجلها ، كان عدد المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر وكان عدد قريش ألف ونيفا فلا سواء من حيث العدد والعدة ومع ذلك ثبت الله المؤمنين ، فقام النبي - صلى الله عليه وسلم- يستغيث بربه ويناجيه وهو في العريش ويقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض ، حتى إنه لشدة ابتهاله وتضرعه واستغاثته بالله يكاد أن يقع رادؤه من على كتفيه فيأتي أبوبكر رضي الله عنه ويضع رداءه على عاتقيه ويقول يارسول : طاب بعض مناشدتك لربك فإن الله منجذك ما وعدك ، فهذه استغاثة {إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم} ، إذا الاستغاثة هي طلب الغوث وهي عبادة تطلب من الله سبحانه وتعالى ونقول فيها ما قلنا في غيرها ، الاستغاثة فيها استغاثة عبادة وفيها استغاثة مباحة ، فاستغاثة وقع عبادة هو طلب الغوث من الله -عز وجل- فيما لا يقدر عليه إلا هو ومن استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد في الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله كالذين يستغيثون بالألياء والأوساد والأقطاب وغير ذلك من الألقاب التي يسمونها عياداً بالله وهذا قد فشا وعم وطم بين

الجهال من أتباع الطريقة وغيرها ، حتى إنهم ليأتون بالمضحكات ومن قرأ في طبقات الشعرا ، طبقات الأولياء كما يسميه رأى العجب العجائب من أقوم ينسبون أنفسهم وينمون أنفسهم إلى الإسلام وهم يدعون غير الله ، ويصح أحدهم مدد يا فلان ، يطلب المدد من غير الله -عز وجل- فيما لا يقدر عليه إلا الله وهو غائب حتى إنهم ليأتون بالمضحكات ،وبما مر بي ذلك أنه كان يذكر حال رجل ممن يدعي أنه من الأولياء ، وأن أحد تلامذته إستأذنه لسفر إلى الهند ، فأذن له وقال: إن إعتراك خطب فادعوا باسمي ، يعني إستغث بي ، فخرج الرجل وركب البحر ، قال: فبين هو جالس ، أي ذلك الشيخ المزعوم بين أصحابه يوماً ، إذ به يفسر عن ذراعه ويمد يده فإذا هم يرون الماء يبلغ كفه حتى بلغ عضده حتى بلغ الماء إلى كتفه ، هكذا الرواية ، فقالوا: رأينا منك عجباً ، قال: نعم ، أتذكرون فلاناً ؟ فأني أوصيته إذا ألم به خطب أن يستغث بي ، فركب البحر وهاج البحر وعلت الأمواج حتى كادوا أن يغرقوا فذكر مقالتي فنأدى باسمي يا شيخ فلان ، فمد يدي وأخرجت السفينة من قعر البحر ، كان يقوم بعملية إنقاذ بحرية في هذه اللحضة مد يده واستخرج السفينة وهو في موضعه حتى بلغ الماء إلى ساعده إلى عقبه ، هكذا تروج مثل هذه الخرافات على مثل هذه الطعام العوام فينتقلون من التوحيد إلى الشرك فيجب التنبيه لهذا والفصل بين هذا وبين الولاية الحقيقية بررب العالمين ، فإن الولاية الحقيقية غير الولاية المدعاء ، وأعظم علامة لأولياء الله امتثالهم لشرع الله وأعظمه التوحيد {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون} ، أما الاستغاثة فيما يقدر عليه الآدمي فلا بأس به والدليل على جواز ذلك قول الله -عز وجل- في قصة موسى مع الاسرائيلي والقبطي قال: فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ، فهذا يدل على أنه لا حرج في ذلك أن يقول انسان يا فلان أغثني فيما يقدر عليه مثال ذلك أن يكون الإنسان مثلاً يتخبط غريقاً فيبصر أحداً على الشاطئ فيقول يا فلان اغثني أغثني هذه ليست استغاثة شركية أو يكون في بيت يحترق فيفتح النافذة ويقول: الغوث أغثونا فهذه أيضا استعانة مباحة لأنه مما جرد به العادة ، فيميز الإنسان بين هذا وهذا.

ثم ذكر الشيخ -رحمه الله- عبادة أخرى وهي عبادة عملية فكل ما تقدم عبادات قلبية فذكر عبادة عملية مالية بدنية وهي الذبح فقال

ودليل الذبح قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، وَمِنَ السُّنَّةِ : «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ»

ودليل الذبح قوله تعالى {قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك} ، أين الذبح في الآية؟ ونسكي ؛ لأن النسكة هي الذبيحة ولهذا قال الله تعالى {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ} ، فقرن بين الصلاة والنحر كما قرن بينهما هاهنا فقال : {قل إن صلاتي ونسكي} فالنسك أحد المعنيين أنه الذبح ، والمعنى الآخر للنسك أنه مطلق العبادة ، لكن لعل الأليق أن يكون المراد به الذبح ؛ لأنه ذكره مقروناً أو معطوفاً على الصلاة كما جرى التعاطف في سورة العصر ، قل إن صلاتي وهو معروف و نسكي وهو الذبح ومحياي يعني عمله في حياتي ومماتي أي ما أموت عليه لله رب العالمين لا شريك له هكذا أيها الإخوان حياة المؤمن ، الدين كما أسلفنا لا يقبع في زاوية من زوايا الحياة أو يختص بأعمال معينة بين جدران المسجد أو بدريهمات يعطيها للفقير ، أمر الدين يشمل ذلك كله ، الدين يستوعب الدنيا بأكملها ويتصل بالآخرة فينبغي أن ندرك هذا المعنى الشمولي ؛ لأن كثيراً من الناس من جراء تأثرهم بالنظرات الغربية للدين صاروا يتصورون إن الدين أحد أنواع الاهتمامات واختصاصات الحياة وهذا فهم كهانوتي للدين ، هذا فهم النصاري الذين يقسمون الناس إلى قسمين رجال الكهنوت الذين هم رجال الدين والعلمانيين الذين هم رجال الدنيا ، ليس عندنا في الإسلام هذا التقسيم ، الدين والدنيا عندنا في قياس واحد فكل أمور الحياة وفيجللها يصبغها دين الله - عزوجل- الذي لم يدع شاذة ولا فاذة إلا دل والناس عليه ولهذا عبر الله تعالى بتعبير جميل فقال سبحانه وتعالى {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} ، أرأيتم كيف عبر الله في هذا التعبير؟ صبغة مميزة الصبغة ، الصبغة تنتشر في جميع الأنسجة فأنت إذا أخذت قطعة قماش ووضعتها في سائل ملون فإن هذا اللون يصبغ جميع الأنسجة ، كذلك الدين ما إن ينغمز القلب في دين الله -عزوجل- حتى يسمع بنور الله ويصير بنور الله ويأتي ويذر بنور الله ، يصبح جميع الأمر لله -عزوجل- من قبل ومن بعد قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، ما المقصود ها هنا؟ الحديث عن الذبح ، فالذبح عبادة فلا يجوز الذبح لغير الله أبداً فمن ذبح لغير الله ومن أراق الدم تقرباً لغير الله فقد وقع في الشرك الأعظم الذي لا يغفره الله وقد كان بعض الخنفاء قبل بعثة النبي - صلى الله عليه وسلم- يعرض على مشركي العرب صنيعهم فيقول لهم: هذه الشاة تأكل من أرض الله

وتشرب من ماء الله وتذبحونها لغير الله؟ انظروا نصاعة التفكير وصراحته ، يقول هذه الشاة تأكل من أرض وتشرب من ماء الله وتذبحونها لغير الله لا يستقيم ، يجب أن يكون الذبح لله -عز وجل- والذبح منه ما هو ذبح عبادة وقربة ومنه ما هو ذبح مباح ولكن على كل الحالين يجب أن يكون لله تعالى مذكوراً اسمه عليه فأما ذبح العبادة فهو ما يتعلق فيما شرعه الله لعباده من أنواع الهدايا والأضاحي والعقيقة فإن هذا ذبح عبادة فالأضحية عبادة والهدي عبادة والفدية التي يجبر بها الإنسان نقص نسكه عبادة والعقيقة عبادة ، عبادة في أصلها ، وإكرام الضيف أيضاً مع النية يكون عبادة لكن ثم أمور تدخل في قسم المباح كأن يذبح الإنسان لتحصيل اللحم وأكله أو لضيف وفد عليه أو نحو ذلك فهذا ذبح مباح لو أردنا به نية صالحة تحولت هذه العادة إلى عبادة ، وإن لم تقتن به هذه النية فإنها تكون عادة من العادات لكن يشترط فيها ذكر اسم الله ، فلا بد من ذكر اسم الله عند إراقة الدماء ، وأما الذبح الشركي فهو ما يقع من بعض مشركي هذا الزمان وما قبله من أزمان وهو أن يذبحوا تقرباً إلى الجن أو السحرة والمشعوذين فتجد هذا الساحر أو المشعوذ يأتي أو يطلب ممن قصده يقول إذبح ديكاً أسوداً أو تيساً أسوداً في ساعة معينة ولا تذكر اسم الله عليه ، هذا واضح من أوله أنه شرك وذبح لغير الله -عز وجل- فهذا والعياذ بالله مخرج عن الملة لا يجوز فعله بأي حال من الأحوال وليس هذا من النشرة بحال ولا يحل بأي حال الذبح لغير الله على هذه الصفة قال -رحمه الله- ومن السنة "لعن الله من ذبح لغير الله" -عد النبي- صلى الله عليه وسلم - أربعة ملاعن منها هذه اللعن لعن الله من ذبح لغير الله ؛ لأن من ذبح لغير الله فقد أشرك معه غيره وينبغي في هذا المقام التنبيه لما يفعله بعض الناس حينما يريقون الدماء بدعوى إكرام الضيف لكن يكون في قلوبهم تعظيم القادم وهذا يقع عند بعض البوادي وبعض من ينقصه العلم أنه إذا قدم عليه الضيف أتى بهذه الذبائح أمامه وقام يذبحها أمامه فربما قام في قلبه تعظيم هذا القادم إن كان سلطاناً أو أميراً أو مطاعاً أو غير ذلك لا حرج عليه أن يكرمه فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه لكن أن يقصد بذلك تعظيم هذا القادم هذا ربما أدخله في الشرك من حيث لا يعلم لأن الذبح نوع تعظيم ، فعلى الإنسان أن ينتبه لمثل هذه المسالك.

ثم قال:

ودليل النذر قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾

النذر أيضاً عبادة وحقيقة النذر أيها الإخوان إلزام المكلف أو إلزام العبد نفسه عبادة ليست واجبة عليه ، وقد اختلف العلماء في حكم النذر فمنهم من قال هو حرام ومنهم من قال هو مكروه ولعل القول بالكراهة أعدل الأقوال فرما تعجبون وتقولون إذاً كيف يكون عبادة وهو مكروه يقال نعم فرق بين الابتداء وبين الوفاء ، فابتداءه مكروه لماذا؟ ؛ لأن العبد يضيق على نفسه واسعاً ، ولو تعبد العبد لله بما شرع لكفى ، فكونه يضيق على نفسه ويقول : لله عليه نذر أن يفعل كذا وأن يفعل كذا ، يضيق على نفسه وقد رأينا من حال الناذرين أنهم يندرون ثم يشقون بنذرهم ويبحثون عمن يخرجهم من هذا الحرج ، إما أنهم يندرون بصوم طويل أو صدقة باهظة أو بحجج أو عمرات أو غير ذلك من الأمور ثم يشقون بذلك ، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- "النذر لا يأتي بخير إلا ما يستخرج به من البخيل" وصدق فإننا والله نسمع من بعض المستفتين من إذا أخذ يسأل عن النذر وكأنما يماكس مماكسة ، ثم يأخى قد كنت في سعه أنت الآن تقول هل يجب علي كذا هل يمكن أن أخرج منه بكفارة يمين هل هل هل ؟ صدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إنما يستخرج به من البخيل فأوصيكم معشر الإخوان ونفسي وأوصيكم أن تنقلوا هذا إلى ما وراءكم أن يتجنب الإنسان النذر وإذا أراد من ربه شيئاً فما أسهل الأمر يرفع يديه ويقول يارب يارب فالله تعالى لا يعطيك بالمقايضة لأجل أن تنذر ، الله تعالى كريم لا تفنى خزائنه فسأل الله ما أردت من خيري الدنيا والآخرة دون أن تنذر على أي حال فرق بين الابتداء وبين الوفاء إذا وقع النذر حينئذ وجب الوفاء به إن كان نذر طاعة لقول النبي -صلى الله عليه وسلم- من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصه فلا يعصه ، إذاً هذا عبادة واستدل الشيخ لكونه عبادة بقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ ، قد اختلف العلماء هل النذر المقصود بهذه الآية النذر الذي عند الفقهاء كما سبق تعريفه إلزام المكلف نفسه طاعة غير واجبة أم المقصود بالنذر مطلق الطاعة ، قولان: يحتمل هذا ويحتمل هذا وشيبه بهذا قول الله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ، فقل أيضاً فيها إن المقصود بقاء النذور إما النذر الذي سبق تعريفه عند الفقهاء وإما المقصود مطلق الطاعة ، فعلى أي حال ينبغي أن يفى الإنسان بل يجب الإنسان بالنذر الذي خرج مخرج الطاعة ، والنذر أنواع محل تفصيله وبحته في كتب الفقه ، والمقصود هاهنا أنه لا يجوز أن يتقرب لغير الله بالنذر ، لا يجوز أن ينذر الإنسان لمقام فلان ومشهد فلان وأن يذبح عند قبر فلان وهذا وللأسف يعني شائع عند كثير من جهال المسلمين أنهم يندرون النذور لتربة فلان ولمقام فلان ولمشهد فلان وكذا وكذا ، هذا نذر شركي ويشجعهم على ذلك السدنة ومشايخ السوء المتفعين من هذه النذور لأنهم هم الذي

يستقبلونها ويستغلونها ، هذه أيها الإخوة الكرام جملة من الأمور والعبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله - سبحانه وتعالى - وننتقل الآن إلى الأصل الثاني.

فَأَرْكَانُ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحُجُّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قومهم قد تركوا عبادة الله كانوا يعبدون الله لكنهم كانوا يفسدون ذلك بالشرك وكذا قال إبراهيم: {إني براء مما تعبدون إلا الذي فطرنى} ، فقد كان قومه يعبدون الله لكنهم يفسدون ذلك بعبادة غيره معه فتبرأ من جميع معبوداتهم واستثنى ربه -عز وجل- وكذا كان مشركوا العرب كان قائلهم يقول: "ليبيك اللهم ليبيك ، ليبيك لا شريك لك ، إلا شرك هو لك ملكته وما ملك" ، فأهل النبي - صلى الله عليه وسلم - بالتوحيد: "ليبيك اللهم ليبيك ليبيك لا شريك لك ليبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك" ، إذاً لا بد من البراءة من الشرك وأهله ؛ لأن البراءة من الشرك كمسألة معنوية لا يكفي لأن هذا الشرك يتمثل في جماعة وقوم فإذاً لا بد من البراءة من أهله أيضاً ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - عن المؤمن: "لا تتراءى ناراهما" وقد قال الله -عز وجل-: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} ، هذه حقيقة الإسلام ، ويجب أيها الإخوة أن يكون لدينا ألسنة ناطقة وبيانا واضحا حينما نعرف بديننا ، كل واحد منا ينبغي أن يكون عنده من الوضوح والبيان ما يعرض به دينه على غير أهل الإسلام ، إذا قيل لكم ما دينكم الذي تدعون إليه؟ ينبغي أن ينطلق لسانك وبيانك في بيان حقيقة هذا الدين وميزته على سائر الأديان ، لا يوجد دين توحيدي على وجه الأرض إلا دين الإسلام ، هو إرث الأنبياء السابقين ، وأما ماسواه من الملل والنحل فقد دخلها الشرك وفسدت بما أحدثه الأخبار والرهبان.

ثم قال وهو ثلاث مراتب ، الواقع أن هذه المراتب كما أسلفنا هي مراتب الدين ، إذ لا يستقيم أن نقول الإسلام ثلاثة مراتب أولها الإسلام ؛ لأن هذا تعريف للشئ ببعضه وإنما هي مراتب الدين بدليل أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد قال في حديث جبريل الذي ذكر فيه الإسلام والإيمان والإحسان قال في آخره: "هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم" ، إذاً مراتب الدين ثلاثة الإسلام والإيمان والإحسان وكل مرتبة لها أركان فأركان الإسلام خمسة وكل ذلك مأخوذ من حديث جبريل.

فدليل الشهادة قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، ومعناها لا معبود بحق إلا الله وحده؛ (لا إله) نافيةً جميع ما يُعبد من دون الله، (إلا الله) مُثَبِّتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه ليس له شريك في ملكه، وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٦].

أولى هذه الأركان وأعظمها وأجلها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، تأملوا معي في هذه الكلمة العظيمة ، هذه أعظم الشهادة على وجه الأرض ؛ لأنه قد شهد بها أعظم شاهد قال الله تعالى : { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } ، أعظم شهادة من أعظم شاهد في أعظم مشهود به { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } ، وفي هذا شرف لأهل العلم لا يبلغه شرف ؛ لأن الله تعالى قرنهم بذاته وملائكته مما يدل على فضلهم وشرفهم ، ما معنى قولك أشهد؟ أي أقر وأعترف يعني كأنك لقوة يقينك بهذا الأمر القلبي كأنما تشاهده برأي العين ، ولا ريب أن المشاهد أعظم ما يكون في التحقيق فلماذا عبر عن الشهادة مع أنه أمر علمي إذاً معنى أشهد أي أقر وأعترف وأجزم جزماً لا تردد فيه أشهد أن لا إله إلا الله ، مامعنى إله؟ معنى إله ، أي مألوه بمعنى معبود ، فهو على وزن فعال بمعنى مفعول ، إله على وزن فعال لكن ما كان على وزن فعال تارة يكون بمعنى فاعل وتارة يكون بمعنى مفعول ، هنا على وزن يراد بها مفعول مثل قولنا كتاب مكتوب فراش نقصد مفروش بساط مبسوط غراس مغروس ، فإنه هنا أي بمعنى مألوه أي معبود وليس إله بمعنى آله أي فاعل لا فالإله إذاً يراد بها مألوه أي معبود فمعنى قولك لا إله إلا الله ، أي لا معبود بحق إلا الله ، هذا تفسير كلمة التوحيد باختصار لا إله إلا الله ، أي لا معبود بحق إلا الله ، فمن الإله؟ الإله يأيتها الكرام و أيتها الكريمات هو من تأله القلوب محبة وتعظيماً ، هذا الإله فإن قلت لي ما معنى تأله يعني تنجذب إليه من الوله ، وذلك أن الإله المستحق للعبادة سبحانه ومحمده هو الذي يستقطب القلوب وتنجذب إليه القلوب محبة وتعظيماً لا يستحق هذا أحد سواه ولذلك قلنا لا إله إلا الله ، فإن قلت هناك آله سوى الله بدليل أن الله سماها آله فقال سبحانه: { أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا } وقال يوسف عليه السلام: { مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ } ، فهذه الآلهة

هي آلهة لكنها في الحقيقة ليست آلهة بحق ولهذا قال يوسف عليه السلام: ﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماء﴾ ، إذاً هي مجرد أسماء وعناوين ، أما الإله الحق المستحق للعبادة وحده دون ما سواه فهو الله سبحانه لا إله غيره ولا رب سواه فهذا هو معنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله فإن قلت لماذا ذكر شهادة واحدة مع تعدد المشهود به ؟ لأن الركن الأول هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهنا قد تعدد المشهود به فالسبب في ذلك أنه لا يمكن أن تتحقق عبادة الله إلا بالإيمان برسوله - صلى الله عليه وسلم - ولا يمكن أيضاً أن تتحقق شهادة أن محمداً رسول الله إلا بالإيمان بالله ولنا عود إلى هذا إن شاء الله .

ينبغي لطالب العلم أن يتخذ صاحباً ؛ لأن الصحة لها فوائد عظيمة جداً ولا سيما طالب العلم فإنه يستفيد أن يوفقه الله تعالى إلى أخ يعنيه على الوصول إلى مقصوده ومن طبيعة ديننا أنه دين جماعة كما قال الله -عز وجل- {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف ٢٨] وكذا النبي -صلى الله عليه وسلم- ضرب لنا مثلاً بديعاً في المجلس الصالح والمجلس السوء لا يخفاكم ، وطالب العلم على وجه الخصوص يحتاج إلى من ... ذهنه ويفتح عليه ويذاكره في مسائل العلم فإن ذلك يعينه على تثبيت علمه ، ولذلك ينبغي معشر طلبة العلم أن تحسنوا عناية فائقة باختيار أصحابكم وأقصد هنا الصحة الخاصة وإلا لا شك أن أهل الإسلام إخوة إنما المؤمنون إخوة ، لكن صاحبك الذي تجالسه وتسامره وتباحثه كن شديد العناية في اختياره ولهذا قال الزوجي -رحمه الله- في كتابه تعليم المتعلم يقول : وأما اختيار الشريك فينبغي أن يختار المجد والورع وصاحب الطبع المستقيم والمتفهم ويفر من الكسلان والمعطل والمكسار والمفسد وال... ، وهذه فعلاً تلك قائمة من الصفات الإيجابية فكن حريصاً على أصحاب هذه الأوساط أن يكون جاداً أن يكون ورعاً أن يكون صاحب طبع سليم مستقيم ، وذلك لأن طباع الناس تختلف فمن الناس من يكون في طبعه نوع انحراف نوع تقلب نوع مزاجية فيفسد صاحبه ، كذلك ينبغي أن يكون متفهم ؛ لأن حتى عبي الذهن تعبت معه ، وإياك من الكسلان ؛ لأنه يترك فيك مرض الكسل بمخالطته وكذلك المعطل الذي كلما هممت بأمر ثبطك وصعب عليك الأمور والمكثار ، المكثار من الكلام والطعام وغير ذلك من فضول الأشياء فإنها تقتل الوقت وتذهب العمر والمفسد الفتان وهو الذي يكون شغوفاً بمسائل الشغب والأغلوطات والقليل والقال وإغار السلوك فإن هذا يفسد بمجة العلم ويذهب دهائه ، العلم يا إخوة له رونق له بمجة يجدها المخلص لله -عز وجل- فإذا شابه شيء من هذه اللوثات التي توغل الصدور وتفسد النية فإنه يفقد بمجة العلم فتنهوا يا رعاكم الله لهذا ومما يؤثر عن سفيان -رحمه الله- إنه قيل له من يجالس؟ قال من تذكركم بالله رؤيته ويرغبكم في الآخرة عمله ويزيد في علمكم منطقته أين هذا؟ أندر من الكبريت الأحمر هذا الذي إن وجدته فشد عليه يدك قال -صلى الله عليه وسلم- : من تذكركم بالله رؤيته يعني إذا أقبل لا إله إلا الله لما تذكر من صدقه وورعه ويرغبكم في الآخرة عمله ، إذا رأيت سلوكه واغتنامه لوقته وعمره صرت تحاكيه وتذهب معه لا يثبطك إلى الأسفل بل يصعد بك إلى الأعلى ويزيد في علمكم منطقته إذا تكلم فكأنما ينثر الدر والياقوت نسأل الله أن يوفقنا وإياكم ، نود أن نسأل عن بعض ما تقدم كنا قد دخلنا في

الأصل الثاني فما الأصل الثاني من الأصول التي يُسأل عنها المرء في قبره؟ معرفة الإنسان دينه طيب ديننا دين الإسلام **فما تعريف الإسلام؟** الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من

الشرك وأهله وقد أقمنا الأدلة على الدين له **ثلاث مراتب فما هي؟** ما الذي دل على أن هذه **مراتب الدين؟** حديث جبريل في آخره هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم وقد رتب هذه الأمور الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان ، طيب للإسلام أركان خمسة معروفة لديكم جميعاً أولها شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله **فما معنى قول القائل أشهد؟** يعني أقر وأعترف اعترافاً جازماً لا تردد فيه ، لماذا عبر بأشهد؟ مع أن القضية قضية علمية وليست قضية معانية؟ يعني أنه لقوة يقينه كأنه كما يبصرها بعينه ، أشهد ألا إله إلا الله هذه الجملة تضمنت نفياً وإثباتاً أين النفي وأين الإثبات؟ **لا إله نفي ، نفي ماذا؟** نفي كل إله ثم عقبها بالإثبات إلا الله فكان ذلك من أبلغ أنواع الاستثناء استثناء مفرغ من أعم الأحوال ، **طيب إله هل يراد بها آله أم مألوه؟** إله بمعنى مألوه طيب **ما معنى مألوه؟** مألوه أي معبود ؛ لأن القلوب تأله محبة وتعظيماً ما معنى تأله؟ أي تنجذب إليه محبة وتعظيماً ، حينما تقول لا إله إلا الله معناها لا معبود إلا الله ، **لكننا نحتاج إلى تقدير محذوف ما ذلك المحذوف؟** لا معبود بحق أو حق إلا الله وذلك لأن لا نافية للجنس تحتاج لنفي وخبر فخيرها محذوف وتقديره لا إله حق إلا الله وبذلك يزول الإشكال ما هو الإشكال أن هناك آلهة من دون الله هذه الآلهة كي تزال الإشكال بتقديرنا حق؟ أنها آلهة مزعومة آلهة باطلة وهل سماها الله تعالى آلهة؟ سماها آلهة ما الدليل؟ أم اتخذوا من دونه آلهة ، لكن الله -عز وجل- في موضعين في القرآن عدها أسماء ما الدليل؟ {مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ} يوسف ١٠٠ قالها يوسف عليه السلام أيضاً في سورة النجم كذلك {إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ} النجم ٢٣ فهي مجرد أسماء وعناوين لا حقيقة لألوهيتها ، لكن هم اتخذوها آلهة ولهذا قال الله -عز وجل- لعيسى يوم القيامة {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ} المائدة ١١٦ لم قال لهم ذلك ما قال لهم إلا أن اعبدوا الله ربي وربكم لكنهم هم بالتقرب إليه اتخذوه وأمه إلهيين من دون الله ولذلك يعجب النصارى المعاصرون ويقولون: كيف تنسبون إلينا أننا اتخذنا مريم إلهاً يظنون أن اتخذ مريم إلهاً إنما يكون بعدها مع الأقانيم الثلاثة الأب والإبن والروح القدس إله واحد وما دروا أن اتخذ الشئ إلهاً يكون بصرف العبادة إليه من الدعاء ولذلك هم يدعون مريم من دون الله في صلواتهم وعبادتهم المزعومة .

قال المصنف - رحمه الله - :

الأصل الثاني معرفة دين الإسلام بالأدلة قال المصنف : فدليل الشهادة قوله تعالى : {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} آل عمران ١٨ ومعناها لا معبود بحق إلا الله وحده ، لا إله نافياً جميع ما يُعبد من دون الله إلا الله مُثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه ليس له شريك في ملكه وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى : {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ} الزخرف ٢٦ {إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ} الزخرف ٢٧ {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} الزخرف ٢٨ وقوله تعالى {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} آل عمران ٦٤ ودليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله تعالى : {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} التوبة ١٢٨ ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد ففي هذه القطعة التي استمعنا إليها شروع من المؤلف - رحمه الله - في بيان أركان الإسلام فالإسلام مقام على خمسة مبان أعظمها وأشرفها وهي بوابة الإسلام وأول الأمر وأوسطه وآخره الشهادتان ، شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله ، فأما شهادة ألا إله إلا الله فقد تقدم معناها وزادها الشيخ - رحمه الله - هاهنا بأن أقام الدليل على هذا المعنى فاستدل بقول الله تعالى شهد الله أن لا إله إلا هو ، هذا لفظ الشهادة والملائكة أي الملائكة شهدوا بذلك أيضاً ؛ لأنهم عند ربهم وهم أعلم الخلق برهم وقد أثنى الله عليهم ثناءً عظماً فقال : {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ} الأنبياء ٢٦ {لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} الأنبياء ٢٧ {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} الأنبياء ٢٨ وقال : {كِرَامًا كَاتِبِينَ} الانفطار ١١ فهؤلاء الملائكة العظام يشهدون لله - عز وجل - في الوجدانية وأولو العلم لله درهم ما أعظم حظهم وشرفهم حينما قرن الله شهادتهم بشهادة ذاته وملائكته ، وذلك أن أهل العلم قد نور الله عقولهم وبصائرهم فأبصروا الأشياء والحقائق على ما هي عليه ، ألم ترى أن الله تعالى أحل عليهم فقال : {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} سبأ ٦ قوم يحيل الله - عز وجل - على رأيهم جديرون بالثناء ،

ففي هذا شرف لأهل العلم وقال تعالى وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ {النساء ٨٣} فأهل العلم لديهم الملكة والقدرة على الاستنباط ولذلك أثبت الله شهادتهم ، فهذه أعظم آية في أعظم شهادة في أعظم مشهود به من أعظم شاهد ، ثم بين معناها أي لا إله إلا الله ، أي لا معبود بحق إلا الله فكلمة **لا** تفتقر إلى اسم وخبر لأنها لا النافية للجنس ، لا إله فاسمها إله فأين خبرها؟ **خبرها محذوف تقديرها لا إله حق إلا الله ؛ لأن خبرها مرفوع ،** فمعنى الكلام لا معبود بحق إلا الله - عز وجل - أما المعبودات المزعومة فكثير من الناس من يعبد الشجر ومنهم من يعبد الحجر والبقر وأصناف المعبودات التي تخطر على البال وقد لا تخطر ببال إلا الله فأثبت الألوهية له وحده سبحانه فقال لا إله أي نافياً جميع ما يعبد من دون الله ، إلا الله مثبتاً العبادة وحده لا شريك له في عبادته ، كما أنه لا شريك له في ملكه وهذا تعليل حسن ، فلما كان سبحانه لا شريك له في ملكه كان جديراً بأن يكون لا شريك له في عبادته ، وتأملوا معي يا رعاكم الله في هذا المعنى العظيم الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في سورة سبأ لتروا عظمة القرآن وفوة بيانه وحجته يقول تعالى : {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ} {سبأ ٢٢} إذاً الله تعالى ابتداءً نفى عنهم ملك ذرة في السماوات أو في الأرض ربما قائل : لا يملكون استقلالاً لكن ربما يملكون مشاركة فيكون في ذلك نوع وجاهه لأن يعبدوا من دون الله فقال وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ فربما قال قائل لا يملكون استقلالاً ولا مشاركة لكنهم بمنزلة الأعوان والخدم والحشم الذين لا يستغني عنهم السلاطين فيكون مسوغاً لعبادتهم ودعائهم من دون الله فقال الله وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ أي معاون ، إذاً محق الله - عز وجل - جميع ما قد يتسلل إلى الدين من احتمال دعاء غير الله فهم لا يملكون استقلالاً ولا مشاركة ولا معاونه هل بقي شيء؟ بقي شيء وحيد ربما يتذرع به المشركون بل قد تذرعو به الشفاعة أنهم قالوا سلمنا أنهم لا يملكون استقلالاً ولا مشاركة ولا معاونه لكن لهم جاه ومنزلة عند الله - عز وجل - تسوغ لنا أن نتخذهم وسائط كما هو الحال عند ملوك الدنيا يكون لهم وزراء مقربون فإذا توسط الإنسان بهم بلغوه مراده ، هذا الاحتمال قائم وهو من أعظم أسباب الشرك فقال الله تعالى معقباً : {وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} {سبأ ٢٣} إذا كانت الشفاعة لله جميعاً فمعنى ذلك أنها لا تطلب إلا من عنده إذا كانت الشفاعة لا تنفع إلا بإذنه فهي ملكه إذا ما الفائدة أن تطلب ممن لا يملكها؟ الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة التي عند ملوك الدنيا ، ملوك الدنيا يجيزون شفاعة فلان وعلان إما رغبة أو رهبة ، لا يستكثر بنا من قلة ولا يستعيذ بنا من من ذلة ، فلذلك كان تمكين بعض الصالحين والأنبياء من الشفاعة لإظهار فضلهم ، لا أنهم يبادئون الله تعالى بذلك دون إذنه لا بد من شرطين كما سيأتينا ، إذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع له فيألهما من آيتين عظيمتين

بمحقان الشرك من اصوله ويشتان التوحيد وإذا أرجفهم الله تعالى بآية عظيمة قال حتى إذا فرغ عن قلوبهم من هم؟ الملائكة الذين هم أقوى من يتصور ممن يدعى من دون الله انظر حالهم مع ربهم حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ، إذا كان هذا هو حال الملائكة المقربين أن الله تعالى إذا تكلم بالوحي أخذت السماوات رجفة أو رعدة ثم خروا جثياً ، إذا كان هذا حال هؤلاء الذين هم أقوى من نتصور من يمكن أن يدعى من دون الله فما بالك بمن دونهم ، فهذا من عظيم احتجاج القرآن ونفيه لمادة الشرك واثباته لمادة التوحيد ، فتأملوا في هذه المعاني العظيمة ، قال الشيخ - رحمه الله - : وتفسيرها الذي يوضحها أي كلمة التوحيد قوله تعالى : {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ} {الزخرف ٢٦} {إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ} {الزخرف ٢٧} {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} {الزخرف ٢٨} نسأل الله أن يجمعنا بإبراهيم عليه السلام وبنينا محمد - صلى الله عليه وسلم - ، انظروا إلى هذا الرجل هذا النبي الكريم كيف صدع بكلمة التوحيد بين ظهراي قومه قال إبراهيم لأبيه وقومه فخص وعمم أي أنه عليه الصلاة والسلام لا يختلف الأمر عنده من قريب ولا بعيد فالذي أمر محمد أن يقول : وأنذر عشيرتك الأقربين فرقى على الصفا وقال يا معشر قريش يا عباس بن عبدالمطلب يا صفيّة عمة رسول يافاطمة بنت محمد خص وعم كان كذلك جده إبراهيم عليه السلام قال لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون وكلمة براء يسميها أهل اللغة صفة مشبهة وهي أبلغ من أن يقول إنني برئ مما تعبدون كلمة إنني براء كأنما كان هو ورقاً للبراءة كأنه والبراءة مفيش ، إنني براء مما تعبدون فهذا يدل على أن قومه كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره ولهذا تبرأ من جميع معبوداتهم واستثنى خالقه وإلهه الذي فطره ، هذا إذا قلنا أن إلا هنا استثناء متصل إذا اعتبرنا كلمة إلا استثناء متصل فهذا يدل على أن قوم إبراهيم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره فلما تبرأ من معبوداتهم استثنى ربه سبحانه وبحمده إلا الذي فطرني ، أما لو قلنا أن إلا استثناء منقطع فهذا يدل على أنهم لم يكونوا يعبدون الله فتبرأوا من جميع معبوداتهم ، ثم قال : إلا الذي فطرني يعني بل أعبد الذي فطرني فعلمنا الاستثناء المنقطع أن ترفع إلا وتضع مكانها بل والتوجه الأول أولي وأرجح فإن الأمم السابقة كانت تعبد الله لكنها تشرك معها غيره ، إلا الذي فطرني ما معنى فطرني؟ أي ابتداء خلقي ولهذا معنى الحمد لله فاطر السماوات والأرض أي مبتدأ خلقهن يقول ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أعلم ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر لهما فقال أحدهما : أنا فطرهما ، فقلت ما فطرهما ، قال أنا ابتدأت حفرها فعلم رضي الله عنه أن الفاطر يعني ابتداء الشئ ، إذاً قول إبراهيم عليه السلام إلا الذي فطرني من أقوى الأدلة ؛ لأنه يدل على أن الذي ابتداء خلقي وأوجد مادتي من العدم هو الحقيق بالعبادة ، إذا قال مؤمن القرية حينما أتى إلى قومه قال : {وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ} يس ٢٠ {اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُمْتَدُّونَ} يس ٢١

{وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} يس ٢٢ تجد أن كلام أهل الإيمان متشابه وإلا لا علاقة زمنية ولا جغرافية بين إبراهيم عليه السلام ومؤمن القرية ، لكن الإيمان واحد فيثمر ويخرج من المعاني نتائج واحدة فقال إلا الذي فطرني فإنه سيهدين إي والله ولذا قال الله -عز وجل- في الحديث القدسي يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم ، يجب أن نشعر بهذا الافتقار لله -عز وجل- في مآكلنا ومشربنا وفوق ذلك كله في هداية قلوبنا ، لهذا قال إبراهيم إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها ، إلام مرجع الضمير؟ إلا تلك الكلمة كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون يعني في ذريته لعلهم يرجعون يأوون إليه ويرجعون إليه عند الاختلاف لكن منهم من هدى الله ومنهم من ضل لأن إبراهيم سأل ربه ذلك لكن الله -عز وجل- بين أن منهم من يؤمن ومنهم يشرك قال : وقوله قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم هذا أيها الإخوة الكرام توجيه رباني للنبي -صلى الله عليه وسلم- في مخاطبة أهل الكتاب وإذا قيل أهل الكتاب في الكتاب والسنة فالمراد بهم اليهود والنصارى ، والمراد بالكتاب هو ما أنزل إليهم من ربهم الله قد أنزل على موسى التوراة وأنزل على عيسى الإنجيل فهم يفترون عن بقية الأمم بأنهم أهل كتاب وإن كانوا قد حرفوه ومن قسيمهم ، ما قسيم أهل الكتاب سماهم الله تعالى باسمين سماهم تارة المشركين وتارة الذين لا يعلمون ، فقال تعالى : لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فهم قسيمها وفي موضع آخر وقال الذين لا يعلمون يريد بهم سبحانه من ليسوا يهوداً ولا نصارى وفي مواضع فصل طوائفهم فسمى سبحانه الصابئة وغيرهم فإذا قيل يا أهل الكتاب فليذهب الوهل مباشرة إلى اليهود والنصارى قل يا أهل الكتاب تعالوا ماذا نلتمس من هذا نستنبط أيها الإخوان أننا نحن أصحاب المبادرة إلى الحوار ، هذه الكلمة كلمة الحوار كلمة شاعت في العقود الأخيرة وكثرت والحوار هو المراجعة بين الطرفين كما قال الله -عز وجل- : قال له صاحبه وهو يحاوره وقال سبحانه {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} المجادلة ١ فالتحاور هو المراجعة في الكلام ، فنستنبط من قول الله تعالى تعالوا أننا نحن أصحاب المبادرة لا ننتظر منهم أن يدعونا بل نحن أصحاب المشروع الدعوي الإيمان التوحيدي فحري بنا أن نبادئهم بالدعوة لكن تعالوا إلى ماذا؟ إلى الموائد والمحافل؟ لا تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم كلمة نتفق نحن وإياكم عليها هذا معنى سواء بيننا وبينكم هذه الكلمة لم يدعها الله تعالى لتفسير مفسر ولا لقول فقيه فتولى سبحانه تفسيرها وبيانها فقال : ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، هذه هي الكلمة السواء فإذا خاطبنا اليهود والنصارى فخطابنا يجب أن ينطلق من هذا المضمون وهذا النص كما أمر الله نبيه وكما امتثل نبيه لأمر ربه فحينما كتب إلى هرقل عظيم الروم قال : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل

عظيم الروم السلام على من اتبع الهدى أما بعد أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم الأرسيين ، قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية فكتب النبي -صلى الله عليه وسلم- له هذه الآية بنصها امتثالاً لأمر ربه وهكذا صنع مع نصارى نجران وهكذا صنع مع اليهود في المدينة كانت دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- وحواره لأهل الكتاب تنطلق من هذه الآية أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ؛ لأنه من لزم التوحيد نفى الشرك ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله إذ أن القوم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله هذا هو مشروعنا وهذه هي دعوتنا التي نبادئ بها البشرية والناس جميعاً ، من يوم النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى يومنا هذا ليس لنا مشروع سواه فإن أبو قال الله -عز وجل- فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ، إذاً ليس صواباً أن نبحث عن حل مشترك ولا أن نلتقي في منتصف الطريق وأن نتنازل عن بعض عقائدنا وهم ذلك ، ثم نصنع توليفة من دين ملفقة حاشا وكلا ، الدين دين الله لسنا أوصياء عليه حتى نفصله على مقاس معين ، يجب علينا أن نمثل أمر ربنا وأن ندعو الناس جميعاً إلى دين الله الذي فيه سعادتهم ونجاتهم فإن هم استجابوا لذلك فأهلاً ومرحاً وإن أبو فإننا نقول كما أمرنا ربنا اشهدوا بأنا مسلمون ، علامة واضحة وشعار مشهور معروف وعلى هذا سار أهل الإسلام من لدن النبي -صلى الله عليه وسلم- عبر القرون يدعون إلى دين الإسلام والتسليم برسالة محمد -صلى الله عليه وسلم-

ثم انتقل إلى الشق الثاني من الشهادة وقد ذكرت لكم أن الشهادتين ركن واحد فكيف كانا ركن واحداً مع تعدد المشهود به ، هما ركن واحد مع أن المشهود به متعدد السبب أنه لا يمكن اثبات شهادة ألا إله إلا الله إلا بآيات شهادة أن محمداً رسول الله كيف نعبد الله -عز وجل- كيف نحقق توحيد الألوهية إلا بما أخبرنا به نبيه -صلى الله عليه وسلم- كذلك لا يكون الإنسان متبعاً لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- حقاً وصدقاً إلا وقد امتثل أعظم ما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو توحيد رب العالمين فصارت الشهادتان ركناً واحداً لا ينفصل بعضه عن بعض ، دليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله تعالى {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ} التوبة ١٢٨ إي والله من أنفسكم يعني من جوفكم لم يزل الله تعالى ملكاً كما اقترح المقترحون قال الله تعالى {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ} الأنعام ٩ {قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَّمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا} الإسراء ٩٥ لكن حكمة الله البالغة أن يكون النبي من جنس قومه يحس بما يحسون ويفعل بنفسه وببشريته ما يأمرهم بفعله فلذلك كان من أنفسهم وفي قراءة من أنفسكم من النفاس لكن القراءة المشهورة من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم أي يعز عليه ما يشق عليكم ويعنتكم حريص عليكم أي أنه شديد الشفقة -صلى الله عليه وسلم- على أمته فيحرص

على دلالتهم على الخير وعلى تجنيبهم الشر وقد كان إي والله فإن نبينا - صلى الله عليه وسلم - كما قال ربنا : بالمؤمنين رؤوف رحيم ، ففي قلبه من الشفقة على أمته ما لا تتسع له العبارات

..... ٥-١١-١٤٣٠ هـ الرابط الثاني

فجعل ينعته لهم نعتا دقيقا فعجب اشد العجب لانهم يعلمون انه لن يذهب ولم يصل الى غاية ما يصل الى البلقاء في الشام ثم عاد به عمه خوفا عليه من اليهود ما الشاهد من هذه القصة ايها الاخوه ان بعض هؤلاء القوم انفضوا من المجلس وذهبوا الى ابو بكر رضي الله عنه فقالوا يا ابي بكر انظر ماذا يقول صاحبك انه يزعم انه اتى مسجد ايليا في ليلة ونحن نضربوا الية اكفادالابل في شهرا و نعود شهرا ويزعم انه اتاه في ليلة واحدة ورجع اتدرون ما قال رضى الله عنه قال ان كان قاله فقد صدق دون تردد ما قال لا اصبروا سأتين ابي اروح اسئل ما اعطاهم فرصة لينشغلوا او يتقربوا منه شيئا قال ان كان قاله فقد حدث فاني اصدقه بخبر السماء ياتيه في المجلس الواحد معني ذلك انه يصدقه في خبر السماء فمن باب اولي ان يصدقه فيما دون ذلك. فلجل ذلك سمي بالصديق فالصديق هو المبالغ في التصديق يعنى الذى بلغ الغايه في التصديق ويتبين ايها الاخوان ان معنى تصديقه فيما اخبر لان كثيرا من الناس يشهد ان محمد رسول الله لكن احيانا ان جائهم حديث او نص قال هاه ايه وشلون اصبر ايه ولو هذا ليس تصديقا التصديق ان تطيب نفسك و تقرعينك في خبر النبي صلى الله عليه وسلم المثال الثاني ما رواه الامام البخارى رضى الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطب اصحابه قال بينما رجل في غنم له اذ عدى الذئب على غنمه فقام يطرده فالتفت اليه الذئب وقال من لها يوم السبر وقال فاصبح الناس يتحدثون ذئب يتكلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم قال انا اؤمن بذلك و ابي بكر وعمر وبينما رجل على بقره له قد ركبها اذ التفت اليه البقره وقالت انا لم نخلق لهذا خلقنا للذر والنسل والحرث فقال الناس بقره تتكلم فقال رسول الله فاني اؤمن بهذا و ابي بكر وعمر ارايتم هؤلاء الصديقون هؤلاء يحكم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم غيايبا بانهم سيصدقون بخبره وكثيرا من الناس يدعى العقلانية واذا ما جائهم حديث بالاسانيد الجياد التي تبرق في الشمس قالوا لا بد ننظر لا بد نتفحص ولا بد ان نظر في التأويل اضرب لكم مثالا يحدث النبي بحديث صحيح اذا وقع الذباب في اناء احدكم فليغمسه ثم ليترعه فان في احد جناحية داء وفي الاخر دواء فاتى بعض العصريين والعقلانيين وقالوا ان هذا الحديث ينفي قواعد الطب الحديث و ينبغي الا يكون الحديث صحيحا اين الايمان اذا ان لم يكن الايمان بالغبطه في خبر الله ورسوله وقبوله

قبولا مطلقا والا صار الانقياد للعقل وليس الانقياد للنص فعودوا انفسكم ببارك الله فيكم على تعظيم للنصوص اذا جاء .الخبر الله ولرسوله فلا تجعل بازاءهما شيئا ولهذا قال العلماء القياس في مقابل النص فاسد الاعتبار طيب هذا عن التصديق طاعته فيما امر اى امتثال ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم فان هذا هو مقتدى الشهادة واعلموا ان ما يامر به النبي صلى الله عليه وسلم على ضربين اما على سبيل الالتزام واما على سبيل الاستحباب فما كان على سبيل الالتزام فان الفقهاء والاصوليين يسمونه واجب و ما كان على سبيل الاستحباب يسمونه مندوبا والواجب على المؤمن وارجو ان تنتبهوا لهذا المعنى التربوي يا معشر المؤمنين والمؤمنات اذا جاءك امر رسول الله فليكن همك ان تمتثل لا تقل واجب ولا سنه لا كما يسأل كثير من الناس الان حينما يؤمر بشئ يقول السنة كذا وكذا هدى رسول الله (ص) كذا وكذا وهذا واجب ولا سنه كائنا المسألة. اذا جاءك الامر فقبله ثم بعد ذلك ان عجزت عنه او شقه عليك فنظر هل هذا على سبيل الالتزام او على سبيل الاستحباب واجتناب ما عنه نهي وزجر هذا يتعلق بالمنهيات فما نهي عنه النبي (ص) وزجر عنه فالواجب في حقنا اجتنابه وهذا المنهى عنه ايضا عند الاصوليين والفقهاء اما ان يقع على سبيل الالتزام بترك او على سبيل الكراهية فالاول يسمونه محرما والآخر يسمونه مكروها ومرة اخرى اقول لنفسي ولكم ما نهي عنه النبي (ص) سواء نهي تحريم او كراهه فالذى ينبغي لنا ان نجتنبيه ولا نماكث ولانقول طيب محرما او مكروها ماذا قال اكثر الفقهاء انتهى وقد جاء في الحديث الصحيح ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ربو انفسكم ايها الاخوة على هذا المبدأ على ان الانسان يصدق نبيه (ص) فيما اخبر ويطيعه فيما امر واجتنب ما نهي عنه وزجر ثم اتى بالرابعة والايعد الله الاما شرع وقد يقول قائل طيب ان نصدقه فيما اخبر ونطيعه فيما امر واجتنب ما نهي عنه وزجر سلمت بذلك لكن لا بأس ببعض الاضافات والامور الجميلة والتي ادخلها واتعبد بها الله نقول له لا ان الدين ليس مزاجا ان تزيد عليه وتنقص فقد وقعت في البدعة لانه في فعله هذا قمه مبطنه للنبي (ص) انه قد قصر في البلاغ وان ثما امورا مستحنا كان ينبغي ان يدل الامة عليها ولم يفعل معنى ان تتعبد لله بامرا لم يشرع النبي (ص) ولذا قال نبينا (ص) من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد ومن عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد اضبطوا هذه القضية ايها الاخوان لان كثيرا من المسلمين ضل في باب الابتداع وظن انه بوسعه ان يحدث في الدين ما يزينه عقله ويستحسنه براية وهذا عند العلماء بدعة وتعريف البدعة كما عرفها الامام الشاطبي رحمه الله قال هي طريقة مخترعة تضاهي الشرعية بقصد السير عليها والمبالغة في التعبد لله تعالى كما في كتاب الاعتصام والمهم ان هذا هو المعنى شهادته ان محمد رسول الله (ص) ايه الاخوان عندما تسمع المؤذن يقول اشهد الا اله الا الله واشهد ان محمد رسول الله يقوم في قلوبنا هذه المعاني وتتجدد العهد مع الله تعالى بتوحيده واتباع نبيه (ص) قال المصنف رحمه الله ودليل الصلاه والزكاة وتفسير التوحيد وقوله تعالى وما

امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ودليل الصيام قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون و دليل الحج قوله تعالى والله على الناس حج البيت من استاعة الية سبيلا ومن كفرا فان الله غنيا عن العالمين بعد ان ذكر الشيخ رحمه الله دليل الشهادتين اتبع بعد ذلك باقى اركان الاسلام وقال دليل الصلاة والزكاة و نقض التوحيد وقال الى من يرجع الضمير فيما قوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء الى اهل الكتاب لانه قال قبلها وما تفرق الذين اتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم البينة ثم قال فى الاية وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين دل ذلك على التوحيد فى قوله الا ليعبدوا الله حنفاء اى مائلين عن الشرك الى التوحيد ويقوموا الصلاة فمنا اعظم امر الصلاة حيث جعل الله رديف للتوحيد فما معنى الصلاة فى اللغة معناها الدعاء هكذا تعرفها العرب ولهذا قال الاعشى... اما فى الاصطلاح غان الصلاة عبادة ذات اقوال و افعال مفتتحة بالتكبير ومحتمة بالتسليم وتاملوا ان الله تعالى لم يامر بالصلاة و حسب وبل امره باقامة الصلاة اذا ما معنى يقوموا الصلاة اى يؤدنها على وجه الاستقامة اى شرائطها او اوقاتها والركانه واجباتها و سننها ويوتوا الزكاة معنى الزكاة فى اللغة الطهارة والنماء اخذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم به وقال تعالى قد افلح المن ذكاهما اى زكه نفسه و طهرها اما فى الاصطلاح المقصود بها التعبد لله سبحانه وتعالى باخراج مال مخصوص الى طائفة مخصوصة فى مصارف الزكاة الثمانية وامر الزكاة عظيم فان الله تعالى دائما يقرن الصلاة بالزكاة ولهذا حارب ابو بكر الصديق الملاتدين لما فرق بين الصلاة والزكاة وقال والله لو منعوني عقال كانوا يؤدنه الى رسول الله لقاتلتهم عليه والله لا وقتلنا من فرق بين الصلاة والزكاة فامرنا عظيم وقد قال الله تعالى فى اية اخرى فان تابوا واقاموا الصلاة و اتوا الزكاة فخلوا فاحوانكم فى الدين وقاله وان تابوا واقاموا الصلاة و اتوا الزكاة فخلوا سبيلهم هذا يدل على عصمة المال والدم فان هذا مقرون بالتوحيد واقامة الصلاة والزكاة و ثم قال دليل الصيام قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم لصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون كتب اى فرض كما كتب على الذين من قبلكم فى هذا ايناس لهذه الامة وانكم لستم وحدكم كلفتم بهذه العبادة وقد سبق هذا قبلكم من كان من الامم حتى يكون فى ذلك حافز لكم ثم بين ثمره الصيام وقال لعلكم تتقون

واذا قال نبينا (ص) ما لم يدع قول الزور و العمل بموجهه فليس لله حاجه فى ان يدع طعامه و شرابه و الصوم فى اللغة معناها الامساك وكما قالت مريم عليها السلام انى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسى وكما تقول العرب صامت الارض عليه اى امسكته وكما قال الشاعر خيلا صياما و اخرى غير صائما تحت الغبار و اخرى تعلقوا اللجوما واما تعريف الصيام اصطلاحا فهو التعبد لله بالامساك عن القطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس واما الحج هو خامس الاركان وهو لغة يعنى القصد واما الاصطلاح هو التعبد لله تعالى بقصد مكة فى مكانا مخصوص وفى زمانا مخصوص

هذه المباني الخمس هي اركان الاسلام التي دل عليه حديث ابن عمر رضي الله عنهما بنى الاسلام على خمس وعدها (ص) اذا يجب علينا ان نحقق هذا الاصل العظيم الايتيان باركان الاسلام الخمسة وقد ختم الله تعالى قوله من استطاع البية سبيلا مع ان الاستطاعة مطلوبة في كل عبادة بشرط وجود القدرة لكن لما كان امر احج شاق من الناحية البدنية و المالية نوها الله تعالى بذكر الاستطاعة وتم ختم الاية بقوله ومن كفر فان الله غنيا عن العالمين وهذا هو مذهب بعض السلف ان من ترك الحج وقادر عليه انه يكون بذلك كافرا وهنا في ذلك اثر عن عليا وعن عملر الا انها لا تصح والصحيح ان هذه الاركان الخمس فرائض مكتوبة وان الإنسان لا يكفر بذلك شيئا منها الا الشهادتين و الصلاة اما الشهادتين فاجماع ولا شكل واما الصلاة فقد اختلف العلماء في هذا وذهب الامام احمد رحمه الله وجمعا من السلف الى ان تارك الصلاة ولة تكاسلاو تماونا كافر كفرا من الملة وذهب غير الامام احمد الى انه كافر ولكن كفرا اصغر والراجح في هذا هو ما ذهب اليه الامام احمد بادلة مبسوطة في كتب الفقه واما الزكاة فقد قال بعض العلماء ان تاركها يكفر لان الله قرنها في اية البراءة فان تابوا واقاموا الصلاة و الزكاة فاخوانكم في الدين اذا اذا لم يكن كذلك ليس اخا لنا في الدين وهذا لاشك فيه ان هذا الاستنباط قوى لانه حديث مانع الزكاة وان بعد ذلك يرى سبيله اما الى الجنة و اما الى النار فدل ذلك على ان مانع الزكاة لا يكفر بذلك واما الصوم والحج فانهما لا يكفرو بهما وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين .

كلمة سواء بيننا وبينكم أي كلمة نتفق عليها جميعاً ما مضمون هذه الكلمة ؟ ما بنود هذه الاتفاقية؟ لا إله إلا الله ، لكن الآية فسرناها أن لا نعبد إلا اله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، إن أبي القوم وقالوا نلتقي في منتصف الطريق تتنازلون عن بعض عقائدكم وتتنازل عن بعض عقائدنا ونلتقي على حل وسط ، فماذا نقول لهم؟ نقول اشهدوا بأننا مسلمون.

قال المصنف - رحمه الله - : المرتبة الثانية الإيمان وهو بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان وأركانه ستة أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ} البقرة ١٧٧ ودليل القدر قوله تعالى {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} القمر ٤٩ .

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد ، لما فرغ المصنف - رحمه الله - من المرتبة الأولى من مراتب الدين وهي الإسلام ثنى بما ثنى به نبينا - صلى الله عليه وسلم - وجبريل في الحديث المشهور وهو الإيمان ، والإيمان أيها الإخوة إذا ذكر فقد يراد به الإيمان الذي بمعنى الدين كله وقد يراد به الإيمان الذي هو الأعمال الباطنة فإذا ذكر الإيمان مع الإسلام في لفظ واحد فإن الإسلام يعني الشرائع الظاهرة والإيمان يعني العقائد الباطنة وإذا ذكر كل منهما في نص مستقل فإن كل منهما يدل على الدين كله ، مرة أخرى لو قال لك قائل : ما الفرق بين الإيمان والإسلام ، فقل له إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا ، ما معنى ذلك أي إذا اجتمعا في نص واحد ، بأن ذكر الإسلام والإيمان فإن الإسلام يعني الشرائع الظاهرة كما في حديث جبريل ، فسر النبي - صلى الله عليه وسلم - الإسلام بما؟ بأركان الإسلام الخمسة التي هي شرائع ظاهرة النطق بالشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وفسر الإيمان بالعقائد الباطنة فقال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ففسره بالعقائد الباطنة ، أما إذا جاء ذكر الإسلام منفرداً فإنه يتضمن الإيمان فإنه يعني الدين كله كما قال الله : إن الدين عند الله الإسلام ، وإذا ذكر الإسلام منفرداً فإنه يدل على الدين كله المتضمن للإسلام هذا هو قول بعض العلماء إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا ، ولأجل ذا فإن الشيخ - رحمه الله - لما أراد أن يعرف المرتبة الثانية الإيمان ذكر التعريف العام والتعريف الخاص فقال الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم بعد ذلك عدد أركانه ، فاعلموا أن الإيمان في اللغة معناه التصديق لكنه تصديق من نوع خاص قال الله تعالى عن إخوة يوسف وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ {يوسف ١٧ لكنه في الواقع تصديق مقرون بإيمان وإقرار وانقياد وإذعان فهو ليس تصديقاً مجرداً ، فمع أن الإيمان في اللغة التصديق المقترن بالإقرار والإذعان ، وأما معناه في الاصطلاح فهو قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان وهذا هو معنى قول العلماء الإيمان قول وعمل ، فالإيمان له حقيقة مركبة من القول والعمل ليس الإيمان فقط مجرد القول ولا مجرد العمل بل

الإيمان قول وعمل ولهذا فسرہ النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن له شعباً كثيرة قال : فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان فلا يتم إيمان امرئ مسلم إلا بأن يعتقد بجنانه يعني بقلبه ويتلفظ بلسانه ويعمل بأركانه أي بجوارحه ، فالقلب يتعلق به اعتقاد وعمل واللسان يتعلق به قول وعمل والجوارح يتعلق بها عمل ونبين ذلك بالأمثلة قول القلب المراد به اعتقاده ، يعني ما ينعقد عليه القلب من العلوم الصحيحة والمعارك الصائبة كأن تعتقد أن الله تعالى واحد لا شريك له أرسل رسلاً وأنزل كتباً وجعل يوماً آخر وجنة وناراً هذه عقيدة قلب هذا قول القلب ، ماهو عمل القلب؟ هو ما يتحرك به القلب من النيات والإرادات كالحبة والخوف والرجاء ففرق بين قول القلب وعمله ، قول القلب هو الاعتقاد وعمل القلب هو ما ينبذ به القلب من العبادات القلب كالحبة والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والاستعانة وغيرها ، تنتقل إلى اللسان ويتعلق به أمران قول اللسان وعمل اللسان ، أما قول اللسان فالمقصود به الاستعلال بالشهادتين فلا نحكم بإسلام أحد حتى يلفظ بلسانه أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، لا بد من هذا الإعلان الظاهري جهراً ، عمل اللسان ما زاد على ذلك من التلاوة والدعاء والذكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله والقول الحسن هذه أعمال اللسان ، أعمال الجوارح ما تقوم به الجوارح من حركات تعبدية كالقيام والركوع في الصلاة وكالوقوف بعرفة ورمي الجمار والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة في الحج هذه تعتبر أعمال جوارح فلا يكون إيمان إلا بالقول والعمل قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح بهذا تتم منظومة الإيمان ، فلو قال إنسان أنا قد صدقت بأن الله حق ووعدته حق والنبيون حق والجنة والنار حق لكن لا عمل لن أفعل الطاعات ولن أجنب المحرمات مطلقاً هل ثبت له إيمان؟ لا لأن الإيمان حقيقته مركبة من قول وعمل لا بد من القول والعمل معاً لكن هذا لا يلزم أن يأتي بجميع أعمال الجوارح لكن لا بد أن يكون منه عمل فإنه إذا كان في القلب عقيدة فلا بد أن تبصر عمل ، ولهذا مثل النبي -صلى الله عليه وسلم- لشعب الإيمان بهذه الأمثلة قال : فأعلاها قول لا إله إلا الله هذه أعلى شعب الإيمان وقوله : قول لا إله إلا الله تشمل اعتقاد القلب ؛ لأن الإعتقاد يقال عنه قول ونطق اللسان ، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق إذاً هذا عمل جوارح إمطة الأذى عن الطريق خصلة من خصال الإيمان قال : والحياء شعبة من الإيمان الحياء عمل القلب فلهذا مثل النبي -صلى الله عليه وسلم- بهذه الأمثلة وبهذا يتبين لنا معشر الإخوة والأخوات أن الإيمان يشمل الدين كله بهذا التعريف حينما نقول الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان أو نقول الإيمان قول وعمل قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح هذا هو التعريف العام للإيمان الذي يساوي الدين كله ، أما التعريف الخاص للإيمان فإنه يقصد به العقائد القلبية التي فسرها النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديث جبريل بقوله أن تؤمن بالله ملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ،

هذه العقائد القلبية هي شجرة الإيمان التي قال الله عنها : { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ } إبراهيم ٢٤ { تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا } إبراهيم ٢٥ وسوف أعرض عليكم الآن تقسيماً لهذه الشجرة ومن أحسن التقاسيم التي مرت علي في بيان شجرة الإيمان تقسيم شيخنا - رحمه الله - محمد بن صالح العثيمين لهذه المسألة سأعرض عليكم كلاماً مفيداً منظماً أرجو أن يكون منكم على بال وأن تقيدوه وتكتبوه وتتصوروا هذه الشجرة المباركة الشريفة شجرة الإيمان يتفرع منها ستة فروع وكل فرع من هذه الفروع الستة يتفرع منه أربعة أغصان كم سيخرج معنا في النهاية؟ أربعة وعشرون غصناً شجرة هذا الساق العظيم الإيمان يتفرع إلى ستة فروع وكل فرع سنخرج منه أربعة أغصان إذاً ستة في أربعة أربعة وعشرين وكل هذا من باب تقليد العلم لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ستة أركان لا يتم إيمان امرئ بالله حتى يؤمن بأربعة أشياء أولاً الإيمان بوجوده سبحانه ثانياً الإيمان بربوبيته ثالثاً الإيمان بألوهيته رابعاً الإيمان بأسمائه وصفاته هذا هو الفرع الأول وهذه أغصانه أعيدها على سبيل البسط المختصر لا يمكن أن يكون الإنسان مؤمناً بالله - عز وجل - حتى يستجمع أربعة أمور الأمر الأول الإيمان بوجود الله فيعتقد الإنسان اعتقاداً حازماً بوجود الله سبحانه وتعالى وهذا أمر فطري؟ من ينازع في هذا الأمر؟ الملاحدة ينازع لهذا الأمر الملاحدة المنكرين لوجود الله - عز وجل - ، ثانياً الإيمان بربوبيته أي الإعتقاد الجازم بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق المالك المدبر كما تقدم معنا سابقاً ومن ينازعنا في هذا؟ ينازعنا منكرو الربوبية كفرعون الذي قال : وما رب العالمين وكانمرود الذي قال أنا أحيي وأميت ، الأمر الثالث الإيمان بألوهيته هو الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة وحده دون ما سواه من ينازعنا في هذا؟ المشركون الذين يصرفون شيئاً من أنواع العبادة لغير الله ، الأمر الرابع الإيمان بأسمائه وصفاته أو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى له الأسماء الحسنی وله الصفات العلی ليس كمثله شيء وهو السميع البصير من ينازعنا في هذا؟ صنفان من الناس من أهل القبلة المعطلة الذين ينكرون أسماء الله وصفاته كلها أو بعضها والمثلة الذين يثبتونها على وجه مماثلة المخلوقين ، أما أهل السنة فإنهم يثبتون اثباتاً بلا تمثيل ويترهون الله تزيهاً بلا تعطيل بهذا تم الكلام عن الركن الأول.

الركن الثاني : الإيمان بالملائكة لا يتم إيمان امرئ بالملائكة حتى يؤمن بأربعة أمور ، الأول الإيمان بوجود الملائكة وأنهم خلق حقيقي من خلق الله خلقهم الله تعالى من نور من ينازعنا في هذا؟ الماديون الذين لا يؤمنون بأية محسوسات ولا يؤمنون بالمغيبات ، أو الذين يزعمون بأن الملائكة قوى معنوية وليست أجساماً حقيقية ، إذاً الأمر الأول هو الإيمان بوجودهم وأنهم مخلوقون لله - عز وجل - الأمر الثاني الإيمان بمن علمنا اسمه منهم ومن لم نعلم اسمه فإننا نؤمن به إجمالاً الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل من؟ جبريل ميكائيل اسرافيل ملك الموت منكر نكير ، نؤمن بهم بأسمائهم ومن لم نعلم

اسمه منهم فإننا نؤمن به إجمالاً ؛ لأن ملائكة الله كثر لا يحصيهم عد وما يعلم جنود ربك إلا هو ، أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - عن البيت المعمور في السماء السابعة انه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم يعني لا تأتيتهم النوبة مرة أخرى وهذا يدل على كثرتهم ، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : حقت السماء وحق لها أن تئط ، والأطيط هو الصوت الذي يُسمع حينما يقتل الراكب على الرحل فيسمع للسيور والجلد خوف بسبب الثقل ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - حقت السماء وحق لها أن تئط ، وفي رواية أن تئط ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وملك ساجد أو قائم أو راکع لله تعالى والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولما تنعمتم بالمساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى ، حتى قال الراوي وددت لو أتي شجرة تعبد ، الأمر الثالث الإيمان بما علمنا ب..... ذلك أن الملائكة عالم غيبي لم نراه بأعيننا لكن الله تعالى أخبرنا عن بعض صفاتهم فقال سبحانه {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ} فاطر ١ إذاً من ملائكة الرحمن من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ومنهم من له أربعة منهم من فاق ذلك حتى أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه رأى جبريل وله ستمائة جناح كل جناح قد سد الأفق لعظم خلقه عليه الصلاة والسلام وقال في حديث آخر : أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه يخفق الطير سبعته عام تبارك الله هذا خلق من خلق الله ، الأمر الرابع الإيمان بما علمنا من وظائفهم وأعمالهم وقد أخبرنا الله - سبحانه وتعالى - عن عبادة مشتركة بين جميع الملائكة ماهي ؟ الإجهاد في العبادة فقال {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} {الأنبياء ١٩} {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} {الأنبياء ٢٠} أعطاهم الله سبحانه وتعالى القوة على عبادته كما قالوا : ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك هذا دأبهم وهذا عملهم ، فهذه وظيفتهم المشتركة لكن لهم وظائف متخصصة كما قال الله تعالى : {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ} {الصفافات ١٦٥} {وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ} {الصفافات ١٦٦} قال : {وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ} {الصفافات ١٦٤} وقال الله تعالى : {وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا} {١} {وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا} {٢} {وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا} {٣} {فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا} {٤} {فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا} {٥} سورة النازعات ، هذه أصناف من الملائكة مكلفة بأعمال معينة ومن وظائفهم من أخبر الله تعالى أنهم عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ، الأعمال من أعمالهم عمل ملك الموت الذي يقبض الأرواح ، من أعمالهم الملك الذي يتصور على الجنين في بطن أمه فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ومنهم المعقبات {لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} {الرعد ١١} وأشرف أعمالهم أمانة الوحي وهذه مهمة جبريل {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} {الشعراء ١٩٣} {عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ} {الشعراء ١٩٤} ومن أعمالهم عمل ميكائيل الذي هو النزول بالقطر من السماء وإنبات

الأرض ومن أعمالهم عمل إسرافيل الذي هو النفخ في الصور فتعود الأرواح إلى الأجساد التي كانت تعمرها في الدنيا وبالجملة فملائكة الرحمن قد أسندت إليهم مهام متعددة متنوعة متخصصة فنؤمن بما صح به الخبر.

الركن الثالث : الإيمان بالكتب لا يتم إيمان امرئ بالكتب حتى يحقق أموراً أربعة ، الأول الإيمان بأنها منزلة من عند الله حقاً القرآن التوراة الإنجيل الزبور صحف إبراهيم وموسى ليست من كلام آدمي بل هي وحي يوحى أنزله الله تعالى على أنبيائه ، فهذه أعظم خصيصة لها أنها منزلة من عند الله حقاً ، الأمر الثاني الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه وما لم نعلم اسمه فإننا نؤمن به إجمالاً ، فما الذي نعلمه من كتب الله؟ التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وصحف إبراهيم وصحف موسى على خلاف هل صحف موسى هي التوراة أم أنها فقطما تضمنت من الوصايا العشر فما علمنا اسمه آمنا به باسمه ، لا نسميه كما يسميه النصارى واليهود العهد القديم والعهد الجديد ، لا التوراة والإنجيل هكذا ، الأمر الثالث الإيمان بما صح من أخبارها وهذه مسألة مهمة أن نؤمن بما صح من أخبارها وذلك أن كتب الله -عز وجل- قد امتدت إليها يد التحريف إلا القرآن فما صح من أخبار الكتب الماضية وثبت فإننا نؤمن به وأما ما لم يثبت فلا ، ونحن نعلم أن الله تعالى قد حفظ القرآن العظيم فقال : {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} {الحجر ٩} ، أما ما تقدمه من الكتب فقد أخبر الله تعالى عن أهل ذلك الكتاب بأنهم يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويشترون به ثمناً قليلاً فتوعدهم فقال فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ، إذا ما هو موقفنا بما يسمى بالإسرائيليات؟ تسمعون بالإسرائيليات؟ المقصود بالإسرائيليات هو المأثور من كتب أهل الكتاب في التوراة في الإنجيل موقفنا منها لا يخلو من ثلاثة أحوال إما أن تكون موافقة لما جاء في كتابنا فنؤمن به ونصدق به ؛ لأن كتابنا يشهد له وإما أن تكون مخالفة لما جاء في كتابنا فنرده ونرفضه ونعلم أنه مما أدخلوه وحرفوه بأيديهم ، وإما أن لا يكون في كتابنا مالا يصدقه وما لا يكذبه فحينئذ لا نصدق ولا نكذب ونقول: آمنا بما أنزل الله من كتاب وأضرب لكم مثلاً على هذه الأمور مثلاً جاء في التوراة ذكر الطوفان وجاء في التوراة ذكر خروج موسى عليه السلام بقومه من مصر وانشقاق البحر ما موقفنا من هذه الأخبار؟ نؤمن بها ونصدق لأن كتابنا جاء مؤيداً لها مصداقاً لها وإن كان لا يلزمنا الإيمان بالتفاصيل التي يذكرونها لكن نؤمن بأصل القضية ، هذا مثال على الحال الأولى ، الحالة الثانية جاء في كتبهم والعياذ بالله أن لوطاً عليه السلام شرب الخمر وزنى بابنتيه أن قرأت هذا بنفسه وبعين رأسي في كتبهم أنه شرب الخمر وزنى بابنتيه حاشاه -صلى الله عليه وسلم- فما موقفنا من مثل هذا الخبر نكذبه ونرفضه ونعلم أن هذا مما أدخلوه في كتب الله فنرده ، يبقى بعد ذلك ما ليس في كتابنا ما يؤيده وما لا يرده ، فهذا كثير جداً وغالبه لا طائل من ورائه كأن مثلاً يختلس في اسم الكلب الذي أهل الكهف وصفته ولونه وما إلى ذلك فهذا مما لا

حاجة لنا به ولكننا لا نصدق ولا نكذب ، أو يأتي أخبار وقفته نحو ذلك فيجوز الرواية من هذا حيث أننا لا نصدق ولا نكذب والتحديث به لقول النبي -صلى الله عليه وسلم- : وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ، ولكن لا نقطع بثبوت ولا بنفيه كما في الحديث إذا حدثكم بنو اسرائيل فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم فعسى أن يحدثوكم بحديث كذبوا فيه فتصدقوهم أو يحدثوكم بحديث صدقوا فيه فتكذبوهم فمنهج السلامة أن لا تتسرع بتصديق ولا تكذيب ، أما ما شهد كتابنا بصحته فإننا نؤمن به لثبوت ذلك في كتابنا وما شهد كتابنا بنقضه فإننا نرفضه لأن كتابنا شهد بنقضه ، الأمر الرابع هو العمل بالشرع المتزل إلينا في كتابنا ولم نقل ها هنا العمل بالشرع المتزل إلينا في كتابنا وهو القرآن العظيم ولم نقل في هذا المقام بالشرائع السابقة لماذا؟ لأن كتابنا القرآن العظيم ناسخ للكتب السابقة مهيمن عليها وذلك أن الله تعالى في سورة المائدة لما ذكر التوراة ثم ذكر الإنجيل قال ثم وأنزلنا إليك الكتاب مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه مامعياً مهيمناً عليه؟ أي حاكماً وقاضياً وناسخاً ، فلا يجوز لأحد أن يعمل بشريعة التوراة ولا بشريعة الإنجيل لكن إن أقر شرعنا ما جاء في التوراة أو الإنجيل فإننا نعمل به لإقرار شرعنا له ما مثال ذلك؟ قوله تعالى عن التوراة {وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ} المائدة ٤٥ هذا مكتوب في التوراة وأقره شرعنا وزاد عليه شرعنا فمن تصدق به فهو كفارة له ولم يكن ذلك في شرعهم.

الركن الرابع : الإيمان بالرسول فلا يتم إيمان امرئ بالرسول حتى يحقق أموراً أربعة الأول الإيمان بأن رسالتهم من عند الله حقاً يعني اصطفاء واختيار من الله -عز وجل- وأن هذه الرسالة لا تحصل بالمجاهدة كما زعم ذلك زنادقة الصوفية فإن زنادقة الصوفية يزعمون أن النبوة ممكن تكسب بالرياضة والمجاهدة حتى تسمى النفس وتصل إلى مرتبة النبوة ، كلا بل النبوة والرسالة محض اصطفاء من الله -عز وجل- قال الله تعالى : {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} الحج ٧٥ وقال تعالى : الله أعلم حيث يجعل رسالته ، ونعى الله تعالى على المشركين حيث قال {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ} الزخرف ٣١ {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} الزخرف ٣٢ ، الأمر بمن علمنا اسمه من رسل الله باسمه ومن لم نعلم اسمه فإننا نؤمن به إجمالاً رسل الله كثر ؛ لأن الله تعالى يقول : وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ، {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ} النحل ٣٦ فرسل الله كثر من علمنا اسمه منهم آمننا باسمه ومن لم نعلم اسمه فإننا نؤمن به إجمالاً ، وقد ورد من أسماء الأنبياء والمرسلين في القرآن العظيم خمسة وعشرون نبياً رسولاً فهؤلاء نؤمن بهم أما من لا نعلم اسمه منهم فإننا نؤمن بأن الله تعالى قد بعث في كل أمة رسول وكفى ، ولهذا إذا مرت بنا بعض

الأسماء التي في كتب أهل الكتاب مثلاً أشعياء أرميا حزقيال يوشع أو يسوع إلى غير ذلك فإننا لا نقطع بذلك لكن نؤمن أن الله تعالى بعث رسلاً إلى أقوامهم ، الأمر الثالث تصديق ما صح من أخبارهم واعلموا يارعاكم الله أنه لا يوجد سند متصل إلى نبي من أنبياء الله إلا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فإن هذه الأمة قد من الله تعالى بها عليها بالرواية بالإسناد فتجد الأسانيد المتصلة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا تجد هذا في الأمم الأخرى قد نسخت أسانيدنا لكن ربما حدثنا نبينا بشئ من ذلك كقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت ، إذاً نؤمن بما صح من أخبار الانبياء السابقين ، الأمر الرابع العمل بشريعة من بُعث إلينا منهم وهو نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فنحن وجميع البشر مأمورون بالاتباع والعمل بشريعة محمد - صلى الله عليه وسلم - قال الله تعالى { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } الأعراف ١٥٨ ، فلا ينفع أحد بعد بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - إلا أن يتبعه ، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يعني أمة الدعوة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار هكذا ما في أوضح من هذا التعبير ، وتعجب حينما تجد من الناس ومن بعض من ينتسب إلى الإسلام من يقول : لليهودي وللنصراني أن يبقى على نصرانيته كل يعبد الله كما يشاء ، إن هذا من قول الله تعالى { وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } آل عمران ٨٥ والحديث الذي ذكرناه آنفاً والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار .

الركن الخامس : الإيمان باليوم الآخر لا يتم إيمان امرئ باليوم الآخر حتى يحقق أموراً أربعة ، الأمر الأول الإيمان بما يكون في القبر ؛ لأن حقيقة اليوم الآخر يبدأ من خروج الروح يعني مما بعد الموت كما قال شيخ الإسلام في الواسطية ومن أصول أهل السنة والجماعة وهو ما يكون بعد الموت أو نحو من هذا ، إذاً الأمر الأول الإيمان بما يكون في القبر ، ما الذي يكون في القبر؟ أمران أولهما فتنة القبر والمراد بها سؤال الملكين للميت عن دينه وربه ونبيه ؛ لأن فتنة معناها في اللغة الاختبار كما يقال فتن الصائغ الذهب ، يعني إذا أدخل الذهب المخلوط بالمعادن والأوشاب الأخرى في النار فتساقط فلا يبقى إلا الذهب الخالص ، هذه فتنة ابتلاء اختبار والنبي - صلى الله عليه وسلم - قال : أما إنكم تفتنون في قبوركم قريباً من فتنة المسيح الدجال ، الأمر الثاني الذي يقع في القبر نعيم القبر وعذابه وذلك أن المؤمن ينعم في قبره إلى أن تقوم الساعة والكافر يعذب في قبره إلى أن تقوم الساعة إذاً هذا هو الأمر الأول مما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر ، الأمر الثاني الإيمان بالبعث وهو الاعتقاد الجازم بأن

الله تعالى يخرج الناس من قبورهم يوم القيامة حفاة عراة ، هذا هو الأمر الثاني الإيمان بالبعث البعث الجسماني لا كما يدعي بعض الملاحدة أنه بعث روحاني بعث بالروح والبدن معاً يوم يدعو الداعي إلى شئ نكر {خُشِعَا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُتْتَشِرٌ} القمر ٧ {مُتَّطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ} القمر ٨ هذا من أصول الإيمان ، الأمر الثالث الإيمان بالحساب وهو أن الله سبحانه وتعالى يحاسب الناس يوم القيامة والحساب نوعان حساب المؤمنين وحساب الكافرين ، فأما حساب المؤمنين فهو على نوعين أيضاً أحدهما العرض والثاني المناقشة ، فالعرض يكون لمن سبقت له من الله الحسنى ممن أراد الله كرامته ويدل عليه حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن الله يدي عبده المؤمن يوم القيامة ويضع عليه كنفه أي يستره عن الناس فيقول : أي عبدي أتذكر ذنب كذا يوم كذا فيقول : أي ربي أي ربي حتى يظن أنه قد هلك فيقول الرب سبحانه : إني قد سترتها عليك في الدنيا أسترها لك اليوم ، أما المناقشة فهي التي تكون لأوصاف الموحدين الذين ارتكبوا كبائر لم يشأ الله تعالى أن يغفرها بل أراد أن يعذبهم عليها بقدر ذنوبهم ثم يعودون إلى الجنة فهذه تسمى مناقشة والدليل على هذا التقسيم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال يوماً : ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك فقالت عائشة رضي الله عنها : يارسول الله أليس الله تعالى يقول : {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بَيِّنَاتٍ} الانشقاق ٧ {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} الانشقاق ٨ {وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا} الانشقاق ٩ قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : ياعائشة ذاك العرض ومن نوقش الحساب عذب يعني دقق معه في المحاسبة فهذا دليل على أنه سيحاسب بذنب أجارنا الله وإياكم ، أما حساب الكافرين فليس حساب من فازت حسناته وسيئاته ؛ لأنهم لا حسنات لهم أصلاً ليس لهم حسنات حتى يدخلوا في الموازنة بين الحسنات والسيئات وإنما يقررون بذنوبهم فيعتفون بها على رؤوس الأشهاد ثم يلقي بهم في النار ، الأمر الرابع المتعلق بالإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار لا يحل إيمان امرئ باليوم الآخر حتى يؤمن بالجنة والنار أن الجنة حق وأن النار حق وأن الجنة هي الدار التي أعدها الله لأهل كرامته وأن النار هي الله التي أعدها الله لأهل مهاتته وأن في الجنة من شروط النعيم الحسي والمعنوي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأن في النار كذلك من شروط العذاب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أعاذنا الله وإياكم بهذه الأمور الأربعة يتم عقد الإيمان باليوم الآخر.

الركن السادس : الإيمان بالقدر لا يتم إيمان امرئ بالقدر حتى يستجمع حصلاً أربع ، الأمر الأول الإيمان بعلم الله المحيط بكل شئ جملة وتفصيلاً أجلاً وأبداً يعني ما كان وما يكون وما سوف يكون وما لم يكن كيف لو كان يكون هذه مرتبة العلم ، الإيمان بعلم الله المحيط بكل شئ جملة وتفصيلاً أجلاً وأبداً ما كان وما يكون وما سوف يكون وما لم يكن كيف لو كان يكون ، سواء ما تعلق بأفعاله سبحانه أو ما تعلق بأفعال عباده ، فمعنى هذه المرتبة أن يعتقد الإنسان اعتقاداً جازماً أن الله

لا تخفى عليه خافية وأن علم ما الناس عاملون من خير وشر وطاعة ومعصية كما علم أرزاقهم وآجالهم ، الأمر الثاني الإيمان بكتابة الله تعالى ذلك في اللوح المحفوظ كما قال الله -عز وجل- {فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ} البروج ٢٢ وكما قال سبحانه {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} الرعد ٣٩ الذي هو اللوح المحفوظ وكما قال نبيه -صلى الله عليه وسلم- : في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، لا يتحرك متحرك ولا يسكن ساكن إلا وقد كتبه الله تعالى قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة حتى العد والكيس ، لما خلق الله القلم قال له أكتب قال : يارب ما أكتب؟ قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة ، الأمر الثالث الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا يكون شيء إلا بإرادته ومشئته ، الأمر الرابع الإيمان بخلق الله سبحانه لجميع الأشياء ذواتها وصفاتها وحركاتها فالله خالق وما سواه مخلوق ما يصير أحد يخلق مع الله ليس العبد يخلق فعل نفسه الله خالق كل شيء وخلق كل شيء فقدره تقديرًا ، إذاً هذه الأمور الأربعة هي أركان الإيمان بالقدر لا يتم إيمان امرئ بالقدر حتى يحقق هذه الأمور الأربعة وبهذا نكون قد أتينا على هذا التفسير المبارك شجرة الإيمان التي جعلنا لها ستة فروع ولكل فرع أربعة أغصان فتصوروا هذه الشجرة المباركة واحفظوها دائماً في أذهانكم بحيث إذا أردتم أن تعرفوا بدينكم إيمانكم أن تعرضوها على هذه الصفات

أين الدليل على مسألة الإيمان في القرآن العظيم؟ لو نظرنا في القرآن العظيم لوجدنا أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر خمسة من الأركان مجتمعة في موضعين فقال سبحانه {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوءَ وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ} البقرة ١٧٧ كم هذه؟ خمسة قال ودليل القدر قوله تعالى {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} القمر ٤٩ هذا دليل القدر وفي آية أخرى قال وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} النساء ١٣٦ فذكر الخمسة مجتمعة وفي آخر سورة البقرة ذكر أربعة منها كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، أما حديث جبريل فقد جمع الستة فالدليل قائم صريح على هذا نختم بالمرتبة السادسة وهي الإحسان وقد عرفها النبي -صلى الله عليه وسلم- أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ومعنى ذلك أن الإحسان مرتبة أخص من الإيمان فمعنى الإحسان في اللغة الإتيان إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه فسرره النبي -صلى الله عليه وسلم- بمحتويين أن تعبد الله كأنك تراه هذا هو الأولى والمقدم فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال العلماء المرتبة الأولى مرتبة الطلب والمرتبة الثانية الحر وأيهما أشرف الطلب أم ال...؟ الطلب أن تعبد الله كأنك تراه أي تعبد الله تعالى وأنت تسعى إليه مشتاق إليه منجذب إليه فيكون آداؤك للطاعات والعبادات ، فهذا معنى قوله أن تعبد الله كأنك تراه طيب إن لم يصل الإنسان إلى هذه المرتبة العليا التي هي مرتبة العبادة

عبادة الفرح المشتاق المنجذب إلى ربه ومعبوده فإن دونهما مرتبة فإن لم تكن تراه فإنه يراك هذه هي مرتبة المهرب ، كما الموظف الذي يتقن عمله لعلمه أن رب العمل يطلع عليه من خلال الكاميرات أو من خلال ملاحظته أو نحو ذلك ، ولاشك أن كل منهما يثمران إحسان العمل كل من هاتين الحاليتين يثمران إحسان العمل ثم الذي يعبد الله كأنه يراه يتقنه ويحسنه ويكون هذا مقصوداً لله - عزوجل - ، والذي يعبد الله وهو يشعر برقابته كذلك يتقنه لأنه خائف من الله - عزوجل - وبذلك تمت مراتب الدين الثلاثة.

قال المصنف - رحمه الله - المرتبة الثالثة الإحسان ركن واحد وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك والدليل قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} النحل ١٢٨ وقوله تعالى {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ} الشعراء ٢١٧ {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ} الشعراء ٢١٨ {وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ} الشعراء ٢١٩ {إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} الشعراء ٢٢٠ وقوله تعالى {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ} يونس ٦١

هذه الأدلة الثلاثة من القرآن تدل على معية الله تعالى لعبده المؤمن فالله تعالى يقول : إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فهذه معية خاصة وقوله {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ} الشعراء ٢١٧ {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ} الشعراء ٢١٨ {وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ} الشعراء ٢١٩ أيضاً يدل على شعور المؤمن بمعية الله ورقابته وكذلك ما جاء في الآية الأخيرة كلها دالة على اثبات هذا النوع من الدين وهو مرتبة الإحسان وصلى الله على نبينا،، محمد وعلى آله وصحبه وسلم،،

يقول المصنف - رحمه الله - الأصل معرفة نبيكم محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وهاشم من قريش وقريش من العرب والعرب من ذرية اسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وله من العمر ثلاث وستون سنة منها أربعون قبل النبوة وثلاث عشرون نبياً ورسولاً ثباً يقرأ وأرسل بالمدثر وبرده مكة وهاجر إلى المدينة ، بعثه الله بالندارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد والدليل قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ {١} قُمْ فَأَنْذِرْ {٢} وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ {٣} وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ {٤} وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ {٥} وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ {٦} وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ {٧} سورة المدثر ومعنى قم فأنذر ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد وربك فكبر أي عظمه بالتوحيد وثيابك فطهر أي طهر أعمالك عن الشرك والرجز فاهجر الرجز الأصنام وهجرها تركها وأهلها والبراءة منها وأهلها

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فهذا هو الأصل الثالث العظيم من الأصول التي يسأل عنها الإنسان في قبره وهو معرفة نبينا - صلى الله عليه وسلم - فإن الملكين يسألان الميت في قبره عن نبيه ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا بد أن ينطوي قلب المؤمن بعلم بين على شخص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا ريب أن لنبينا - صلى الله عليه وسلم - منزلة عظيمة في قلوب المؤمنين كيف لا؟ وهو المفتاح الذي فتح الله تعالى به أعيناً عمياً وقلوباً غلفاً وأذاناً صماً ، امتن الله ببعثته على أوليائه فقال : {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} آل عمران ١٦٤ فحري بنا معشر المؤمنين أن نعرف طرفاً من سيرة نبينا - صلى الله عليه وسلم - ونحيط بها علماً ، فابتدأ الشيخ - رحمه الله - بذكر بعض الجمل العامة عن نبينا - صلى الله عليه وسلم - فقال وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم هذا نسبه ، فلاريب أن الإنسان إذا أراد أن يعرف أحد أن يعرف به ابتداءً بنسبه فأنت إذا لقيت أحداً وأردت أن تتعرف عليه تقول له : من الأخ؟ فيقول فلان ابن فلان الفلاني فرمما انتسب إلى قبلته وربما انتسب إلى بلده فتعرفه بهذه النسبة فهو محمد وقيل أنه هو أول من سمي بهذا الاسم محمد والواقع أن أسماء نبينا - صلى الله عليه وسلم - أعلام وأوصاف كما أن أسماء الله الحسنى أعلام وأوصاف ما معني قولنا أعلام وأوصاف؟ أعلام أي دالة على شخصه وذاته وأوصاف أي أنها صفات متحققة فيه فأسماء الله الحسنى أعلام وأوصاف أعلام من حيث دلالتها على ذات الله المقدسة سبحانه وبحمده فهو سبحانه الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام العزيز ... الخ ، كل هذه الأسماء الحسنى تدل على ذات الرب وهي أيضاً أوصاف ليست مجرد أعلام محضة بل هي تدل على ما تضمنته من معاني كذلك أيضاً أسماء

نبينا - صلى الله عليه وسلم - أعلام وأوصاف فهي أعلام لدلالاتها على شخص ذلك النبي الكريم فإذا قيل محمد أو قيل أحمد أو قيل الحاشر أو غير ذلك من الأسماء التي ثبتت في السنة فهي كلها دالة على ذات ذلك النبي وهي أيضاً أوصاف أي أن كل اسم منها يدل على وصف مميز يختلف عن الأوصاف الأخرى فهو - صلى الله عليه وسلم - محل للحمد فهو يحمد من قبل الناس لما جبل عليه من الأخلاق الكريمة والخلال الحميدة بل هو أحدهم ولذلك كان أحمد وهو الحاشر وهو العاقد كما سمي نفسه - صلى الله عليه وسلم - في حين أن أسماء الناس أعلام ولا يلزم أن تكون أوصاف فربما سمي واحد من الناس صالح وهو في الحقيقة طالح وربما سمي أمين وهو من أسرق الناس وربما سمي شجاع وهو من أجنب الناس أليس كذلك؟ إذاً أسماء الناس أعلام ولا يلزم أن تكون أوصاف ، أما أسماء نبينا - صلى الله عليه وسلم - فهي أعلام وأوصاف ذلك في أسماء القرآن ... في أسماء القيامة وطبق عليها هذه القاعدة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وعبد الله أبوه توفي وهو بعد حمل فلم يدرك أباه فولد يتيماً - صلى الله عليه وسلم - وكذا أمه توفيت وهو بعد صغير ودفنت في الأبوا بين مكة والمدينة وينبغي أن نعلم أن أبوي النبي - صلى الله عليه وسلم - ماتا على جاهلية ولما جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وسأله وقال له أين أبي؟ فقال أبوك في النار فانصرف الرجل مغضباً فقال له : أبي وأبوك في النار كما في الصحيح ولما مر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالأبواء بين مكة والمدينة وهو موضع دفنت فيه أم النبي - صلى الله عليه وسلم - آمنة بن وهب استأذن ربه أن يزور قبر أمه فأذن له أن يزور قبرها ولم يأذن له أن يستغفر لها فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - قبر أمه وقام عليه وبكى وأبكى من معه وكانوا أربعمئة زائر وهذا يدل على عظم أمر الدين والعقيدة يقول الله - عز وجل -: { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } التوبة ١١٣ { وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ } التوبة ١١٤ وهذا يدل على أن أعظم رابطة هي رابطة الإيمان لا تقدم عليها رابطة نسب ولا عشيرة ولا أخوة ولا صداقة فرابطة الدين مقدمة على كل رابطة ، أما عبد المطلب فجده وهو أشرف العرب في زمانه وهو الذي حفر بئر زمزم وأعادها فكان سيد العرب وسيد قريش بن عبد المطلب بن هاشم جده الأعلى وهاشم من قريش ، ولا ريب أن نسب نبينا - صلى الله عليه وسلم - محفوظ منقول إلى عدنان وأما ما بعد عدنان فإنه لا يثبت في عدنان نسب نبينا - صلى الله عليه وسلم - محفوظ معروف ويكفي للإنسان أن يعرف هذا القدر من نسب النبي - صلى الله عليه وسلم - محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وهاشم من قريش وقريش من العرب هي القبيلة العربية المقدمة المفخمة التي مكناها الله تعالى من صيانة البيت وقد كان البيت قباعة ثم بعد ذلك حارهم قصي بن كلاب وتمكن من البيت واستولى عليه وقسم الرسادة والسقاية ودار الندوة بين أولاده فكان من نصيب بني هاشم سقاية الحاج فهذه القبيلة قبيلة عربية

شريفة وقد جاء في الحديث إن الله تعالى اصطفى بني إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاي من بني هاشم فهو خيار من خيار من خيار فلاشك أن نبينا -صلى الله عليه وسلم- كغيره من الأنبياء بعث في نسب من قومه قال الله تعالى {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} التوبة ١٢٨ والعرب من ذرية إسماعيل وإسماعيل عليه السلام نبي من أنبياء الله وهو خليل الرحمن إبراهيم قال ابن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وهذه من حكمة الله البالغة فإن الله سبحانه وتعالى وضع بعض أهل بيته بواد غير ذي زرع فاحتمل هاجر ذريته ومعها ابنها إسماعيل ووضعهم في ذلك الوادي لأمر ادخره الله تعالى للبشرية لهذه الأمة في آخر الزمان وصار عليه الصلاة والسلام يتردد بين هذين الفرعين بين فرع إسحاق وفرع إسماعيل وكان الأنبياء من فرع إسحاق فظلت النبوة في بني إسرائيل قروناً متطاولة ولم يكن في العرب أنبياء من لدن إسماعيل عليه السلام إلى أن بعث الله تعالى نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- قال أمر النبوة في فرع إسماعيل مثلاً بنينا -صلى الله عليه وسلم- الرسول الخاتم وكل هؤلاء ذرية إبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب يعني في ذرية نوح وإبراهيم إذاً هذا هو نسب نبينا -صلى الله عليه وسلم- وهذه بيئته فقد كان في مكه أم القرى ومحط أفئدة المؤمنين ليس من العرب فقط بل من العالمين لولا أن أهل الكتاب طمثوا هذه المزية وإلا فاعلموا يارعاكم الله أن مكة مذكورة مشهورة في كتب أنبياء بني إسرائيل وأنه ما من نبي إلا وحج البيت ما من نبي من أنبياء الله إلا ويعلم أن لمكة مزية وفضلاً وأنها محل البيت الحرام لكن اليهود والنصارى أخفوا هذه الحقيقة وقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن أنبياء الله حجوا البيت حتى قال كأني أنظر إلى موسى بن عمران من منحدر من النية له جوار بالتلبية كأني أنظر إلى يونس بن متى على ناقه له حمراء خطامها بل قال -صلى الله عليه وسلم-: وكان في طريقه إلى الحج وقد بلغ فجج الروحاء فقال أي فجج هذا؟ قالوا: فجج الروحاء قال: أي ثنية هذه قالوا: ثنية غرفاء قال: والذي نفس محمد بيده ليهلن منها عيسى بن مريم حاجاً أو معتمراً أو قارناً بينهما متى؟ في آخر الزمان عندما يتزل يحجها عيسى بن مريم يحج بيت الله الحرام وقد جاء في حديث حسنه الإمام الألباني -رحمه الله- في فضائل مسجد الخيف أنه صلى فيه سبعون نبياً فثقفوا تمام الثقة أن هذا البيت الحرام وهذه المدينة المشرفة المعظمة مكة مذكورة في كتب أنبياء الله مقصودة منهم بالحج إلا أن الحسد أعماهم فطمثوا ذكرها وأرادوا أن يحصروا الأمر فيهم وفي أمهم لكن الله غالب على أمره فبعث الله نبيه في أخريات الزمان من العرب وقد كان اليهود قصدوا المدينة بناءً على معرفتهم بأن النبي الخاتم يبعث في أرض ذات حراء فجاءت طائفة منهم واستوطنوا المدينة؛ لأنها رأت انطباق الصفات عليها يأملون أن يبعث النبي الخاتم منهم وكانوا يستفتحون على العرب إذا وقع بينهم وبينهم خصومة كانوا يقولون للآلوس والخزرج لقد أظلنا زمان نبي نقاتلكم معه فيفتح علينا قال الله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ

اللَّهُ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ {البقرة ٨٩} كل هذه الدلائل تدل على أن أهل الكتاب يعلمون أن لهذه المنطقة ولهذا الجزيرة ولمكة شرفها الله منزلة خاصة قال المصنف -رحمه الله- : وله من العمر ثلاث وستون سنة منها أربعون قبل النبوة وثلاث وعشرون نبياً ورسولاً هذه كما يقال في لغة العصر السيرة الذاتية عمر نبينا -صلى الله عليه وسلم- ثلاث وستون سنة أربعون سنة قبل البعثة وهذا من حكمة الله البالغة أن الله سبحانه وتعالى لم ينزل عليه الوحي إلا أن بلغ أشده ؛ لأن الأربعين هي سن كمال الرجولة والقوة البدنية والعقلية ولذا يقول الله -عز وجل- حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ {الأحقاف ١٥} فسن الأربعين سن مميزة وقد كان نبينا -صلى الله عليه وسلم- طوال هذه الأربعين سنة على أكرم الصفات وأنبل الطباع وكان مضرب المثل في قومه في الأمانة والصدق حتى إنهم كانوا يلقبونه بالأمين ولما تنازعوا حينما أعادوا بناء البيت من يضع الحجر في موضعه قالوا : نحكم أول داخل فكان أو داخل نبينا -صلى الله عليه وسلم- ففرحوا الأمين الأمين فأقبل عليهم النبي -صلى الله عليه وسلم- وبسط ثوباً ووضع الحجر فيه وأمر أحياء قريش الأربعة أن يمسك كل منهم بطرف ثم احتملوه ثم أخذه بيده الشريفة فوضعه في موضعه ، فقد كان له الذكر الحسن في الأمانة وكان الناس يضعون أماناتهم عنده لما يعلمون من صدقه وحفظه ولم يدعى إلى محمدة في الجاهلية فيه نصرة للمظلوم وفكاك للعاني إلا ودخل فيه -صلى الله عليه وسلم- إلى أن أتم الله عليه نعمته وكان -صلى الله عليه وسلم- لصحة فطرته وسلامة قلبه بتأمل ويبحث عن الحق حتى إنه صار يتحنث الليالي ذات العدد في غار حراء قبل أن يأتيه الوحي كان يتحنث أي يتعبد ؛ لأنه يدرك أن ما عليه قومه باطل ولهذا لم يسجد لصنم قط ولم يشرب خمر قط في الجاهلية فكان يأوي إلى غار حراء ويتأمل في هذا الكون إلى أن أذن الله تعالى له بهذا الفتح العظيم يقول الشيخ -رحمه الله- منها أربعون قبل النبوة وثلاث وعشرون نبياً ورسولاً فلما أن بلغ الأربعين أتاه الوحي من الله -عز وجل- ونزل عليه جبريل في غار حراء وغطه وقال : اقرأ قال : ما أنا بقارئ فغطه الثانية : اقرأ قال : ما أنا بقارئ حتى الثالثة قال : ما أنا بقارئ ثم أرسله وقال له : اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ {١} خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ {٢} اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ {٣} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ {٤} عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ {٥} سورة العلق ، كانت تلك الجمل النورانية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على نبيه -صلى الله عليه وسلم- فترل بها النبي -صلى الله عليه وسلم- ترتعد فرائضه يقول زملوني زملوني حتى أتى إلى زوجه خديجة وكانت من أعقل النساء فزملوه وذرروه وغطوه حتى سكت ، ثم بعد ذلك قص على خديجة ما وقع له فقالت : انطلق بنا إلى ابن عم لي وهو ورقة بن نوفل كان قد تنصر في الجاهلية وطمأنته قبل ذلك وقالت والله لا يخزيك الله أبداً إنظر للمرأة العاقلة قالت : والله لا

يخزيك الله أبداً إنك لتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فاستدلت بهذه القرائن على أن الله تعالى لا يمكن أن يخل من هذه صفته وكانت مطمئنة وأرادت أن تثبت ذلك بذهابها إلى ورقة بن نوفل الذي كان عنده علم من الكتاب فلما ذهب النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى ورقة وكان امرئاً قد شاخ وكبر وقص عليه القصص قال : والله إن هذا لهُوَ الناموس الذي كان ينزل على موسى ليتني كنت فيها جذعاً إذ يخرجك قومك ففرع النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال أومخرجيهم قال : نعم ما أتى أحد بمثل ما أتيت به إلا عودي أو كما قال وطمأنه وثبته ثم بعد ذلك استمر الوحي كما نعلم في السيرة ، مكث النبي -صلى الله عليه وسلم- ثلاثة عشر سنة في مكة يدعو إلى الله سراً في بداية الأمر ثم جهرأ وهذا من الحكمة في الدعوة أنه بدأ بالدعوة السرية لكي يستكثر من الأتباع ويكون قاعدة معه ، ثم بعد أن تكون معه جملة من السابقين إلى الإسلام على رأسهم أبوبكر الصديق -رضي الله عنه- جهر بالدعوة بعد أن دخل فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحمزة بن عبدالمطلب فخرج خطين يطرقان بالبيت يتحديان قريشاً فكانت مدة الفترة المكية ثلاثة عشرة سنة ، ثم أذن له -صلى الله عليه وسلم- بالهجرة إلى المدينة فهاجر إلى المدينة وبقي فيها عشر سنين هذا مجمل حياة نبينا -صلى الله عليه وسلم-.

قال المؤلف : نبأ باقراً وأرسل بالمدثر نبأ باقراً ؛ لأن النبوة حصلت بتزول الوحي عليه فحصلت النبوة فقليل له : يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ {١} قُمْ فَأَنْذِرْ {٢} وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ {٣} وَتَبَايَكَ فَطَهِّرْ {٤} وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ {٥} وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ {٦} وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ {٧} سورة المدثر نبأ باقراً : اقرأ باسم ربك الذي خلق {١} خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ {٢} اقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ {٣} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ {٤} عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ {٥} سورة العلق.

فكانت هذه الآيات إيدان بنبوته - صلى الله عليه وسلم - ثم أرسل بالمدثر أي بعث إلى الناس وطولب بدعوتهم إلى الدخول في دين الله في آيات المدثر ، وينبغي أن نعرف ما الفرق بين النبي والرسول؟ للعلماء في هذا ثلاثة أقوال قال بعضهم : النبي من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغ ، والرسول من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغ ، هذا شرط واضح ويأتي على هذا التفريق في الحقيقة استدراك مهم وهو كيف يوحى إلى النبي بشرع ولا يؤمر بتبليغ؟ ما فائدة ذلك إذاً ، فقل قول آخر في التفريق بين النبي والرسول قيل إن الرسول من أوحى إليه بشرع جديد وأمر بتبليغه والنبي من أوحى إليه بشرع نبي قبله وأمر بتجديده أي أن الرسول يوحى إليه بشريعة جديدة كموسى وعيسى ومحمد - صلى الله عليه وسلم - وأما النبي فهو يأتي تبعاً للرسول السابق ، إذا اندرس العلم واحتاج الناس إلى الحكم بينهم في قضاياهم فيبعث الله نبياً ؛ لكي يجدد ما اندرس من رسالة الرسول الذي قبله ويؤكدون بذلك بأنبياء بني اسرائيل كيشوع بن نون ومن يسموهم في كتبهم أرميا وحزقيال وغيرهم من أنبياء بني اسرائيل المذكورين في كتبهم هذا التفريق الثاني ، ولكن هذا التفريق عليه استدراك وذلك أن الله سمى يوسف عليه السلام رسولاً في كتابه مع أنه لم يوحى إليه شرع جديد فإن مؤمن آل فرعون : {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ} غافر ٣٤ إذا قد كان يوسف عليه السلام رسولاً مع أنه لم يوحى إليه شرع جديد بل كان يعمل بشريعة أبيه وجده يعقوب واسحاق وإبراهيم ، نأتي إلى التفريق الثالث ولعله أرجح هذه التفريقات وهو أن يقال إن الرسول من بعث إلى قوم مخالفين بدعوتهم وأن النبي من بعث إلى قوم موافقين لتعليمهم والقضاء بينهم ، فهذا في الحقيقة لعله أسلم التعريفات وهو الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في كتابه النبوات ، نبينا - صلى الله عليه وسلم - نبأ باقراً وأرسل بالمدثر قال - رحمه الله - وبلده مكة وقد عرفنا بما فهي أم القرى ولها من الفضائل ما لا يخفى يكفي أنها تضم المسجد الحرام الذي الصلاة فيه بمئة ألف صلاة فيما عداه من المساجد قال : وهاجر إلى المدينة هاجر النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة بعد أن مكث بمكة ثلاثة عشر سنة يدعو الناس بكل ما وسعه من أنواع الدعوة لكنها دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -

وأصحابه في هذه الفترة المكية من العنت والمشقة الشئ العظيم حتى إن النبي -صلى الله عليه وسلم- إرفاقاً بأصحابه دعاهم إلى الخروج إلى الحبشة لكي يأمنوا على أنفسهم وعلى دينهم فخرج إلى الحبشة من خرج وبقي نبينا -صلى الله عليه وسلم- يدعو أهل مكة ويصبر منهم على الأذى حتى كان يلقي منهم الأذى العظيم سألت عائشة رضي الله عنها يوماً فقالت : يا رسول الله ما أشد ما لقيت من قومك؟ فقال إني أتيت بني ثلاثة أخوة من وجهاء قريش فدعوتهم إلى الإسلام فقال : أحدهم أما وجد الله أحداً غيرك حتى يرسله؟ وقال الثاني : أمزق أستار الكعبة إن كان الله أرسلك أما الثالث قال : إن كان الله أرسلك فلأنت أعظم في عيني من أن أرد عليك وإن كان الله لم يرسلك فلأنت أحقر في عيني من أن أرد عليك ثم قام وتركه وهذا ما يسمى عند العلماء بكف الإعراض قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقمت أهيم على وجهي من الهم والغم حتى بلغت قرن الثعالب وقرن الثعالب موضع في مزدلفة ليس هو قرن المنازل الميقات المعروف قرن الثعالب قال فإذا أنا بجبريل عليه السلام فسلم علي فقال : يا محمد هذا ملك الجبال فسلم عليه ملك الجبال وقال : إن شئت أطبقت عليهم الأخشدين ما الأخشدان؟ الجبلان المحيطان بمكة جبل أبي قبيس وجبل قويقعة فملك الجبال يعرض على نبينا -صلى الله عليه وسلم- في هذا الموقف المتأزم الذي يشعر فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- بالهم والغم والغيث الشديد بهذه الإهانة وهذا الرد لدينه يعرض عليه أن يطبق عليهم الأخشدين ، فقال بأبي هو وأمي -صلى الله عليه وسلم- بل أستأني منهم لعل الله أن يخرج من أصلاهم من يعبد لا يشرك به شيئاً بالمؤمنين رؤوف رحيم فكان ما تمنى النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم إنه -صلى الله عليه وسلم- كان لا يدخر وسعاً في عرض دعوته فكان يخرج إلى الموسم كل سنة ولا يخفاكم أن العرب منذ زمن إبراهيم يحجون البيت على شركهم فكان يخرج إلى الموسم ويعرض نفسه على القبائل وكان يلحقه عمه أبولهب ويقول : هذا مجنون قريش ينفرهم ويحذرهم منه حتى لقي النبي -صلى الله عليه وسلم- نفرأ من الأوس والخزرج فعرض عليهم دعوته فقبلوا ورغبوا ورحبوا وواعدوه الموسم القادم أها رجل يحملني إلى قومه حتى أبلغ كلام ربي فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي -عز وجل- حتى وصل إلى هؤلاء الفتية من الأوس والخزرج فلما كانت السنة التي تليها جاءوا وكانت عدتهم سبعون فواعدوا النبي -صلى الله عليه وسلم- في العقبة وبايعوه ببيعة العقبة حتى إن الشيطان صرخ وقال يامعشر الناس هذا محمد والثبات قد خرجوا عليكم فأقبل هؤلاء الفتية من الأوس والخزرج وقال أبومالك لنبينا -صلى الله عليه وسلم- يا رسول الله لو أمرتنا غداً أن نغسل على أهل منى بأسيفنا يعني لفعلنا فقال إنا لم نؤمر بعد ثم انفضوا وصارت سحابة من الأوس والخزرج من الأنصار يتحدثون ويقولون : هذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يطرد في جبال مكة خائفاً شريداً وعرضوا عليه أن ينتقل وأن يهاجر إليهم فكان ينتظر الإذن من الله تعالى حتى أذن الله تعالى له بالهجرة كما سيأتي ، قال المصنف -رحمه الله- بعثه الله بالندارة عن الشرك الندارة هي

الإعلان المصحوب بالتخويف ولا شك أن الرسل مبشرين ومنذرين فالله تعالى بعث نبيه بالندارة عن الشرك فقد يكون يقول لهم : أنا النذير العريان النذير العريان عند العرب هو الذي يأتي محذراً القوم حتى يشقوا ثيابه ويتعري ليشعرهم بالجلبت فكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : أنا النذير العريان لو أخبرتكم أن خيلاً خلف هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا : ماجربنا عليك كذباً قال إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد هذا امتثال لأمر الله - عز وجل - في قوله وأنذر عشيرتكَ الأقربين فقام على الصفا وأنذر عشيرته وعم وخص يامعشر قريش ياعباس بن عبدالمطلب ياصفية عمه رسول الله يافاطمة بنت رسول الله عم وخص ودعاهم لا أغني عنكم من الله شيئاً إذا بعثه الله بالندارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد إذا التوحيد بشارة في مقابل الندارة ؛ لأن الدعوة هي التوحيد يحصل بها البشرى والأنس واجتماع القلب والهم على عبادة الله الواحد القهار والدليل قوله تعالى يا أيها المدثر يعني المدثر بهذه الأغطية التي أردت أن تسكن بها قم فأنذر وهذا أمر له بالقيام حساً ومعنى ، القيام من رقدته وضجته والقيام بأمر الدعوة أيضاً وربك فكبر وثيابك فطهر والجزر فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر فسر المصنف - رحمه الله - هذه المفردات فقال : ومعنى قم فأنذر ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد ؛ لأن هاتين قضيتان متلازمتان لا يمكن أن يتحقق توحيد إلا بالبراءة من الشرك فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله لا بد منهما معاً قالوا وربك فكبر أي عظمه بالتوحيد ، أعظم ما عظم الله تعالى به التوحيد ولذلك كان أفضل الكلام لا إله إلا الله ، خير ما قلت أنا والنبيون قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال : وثيابك فطهر فسر الشيخ - رحمه الله - الثياب هاهنا بالأعمال وهذا أحد التفسيرين أي طهر أعمالك من الشرك وإنما سمي الأعمال ثياباً لملاستها للإنسان واستدل العلماء أيضاً بهذه الآية على اشتراط طهارة الثوب من النجس والدنس في بعد الطهارة والفقه ولا مانع من حمل الطهارة على المعنيين يعني على الطهارة المعنوية من الشرك وعلى الطهارة الحسية من النجاسات ولا شك أن المعنى بالطهارة المعنوية أقرب للسياق والمقام لكن لا يمنع أن يحتمل المعنى الخاص قال : والرجز فاهجر الرجز هي الأصنام فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور فهي الأصنام فاهجر بما يحصل هجرها؟ هجرها أي بتركها والتخلي عنها والبراءة منها وكذلك أيضاً هجر أهلها وهم المشركون والبراءة منهم والتخلي عنه فإن هذا من أصول الإيمان كما قال الله - عز وجل - {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ} المتحنه ٤ هكذا الإيمان فيصل بين الحق والباطل بين الشرك والتوحيد.

قال المصنف - رحمه الله - أخذ على هذا عشر سنين يدعوا إلى التوحيد وبعد العشر عرج به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس وصلى في مكة ثلاث سنين وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة والهجرة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وهي هجرة على هذه الأمة بلد الشرك إلى بلد الإسلام وهي باقية إلى أن تقوم الساعة { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } النساء ٩٧ .

قال الشيخ - رحمه الله - أخذ على هذا عشر سنين يدعوا إلى التوحيد يعني أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أمضى عشر سنوات من الفترة المكية وهو يدعوا إلى التوحيد ثم بعد هذه العشر حصل حادث عظيم وهو العروج إلى السماء وقد كان في آخر هذه العشر قد اشتدت عليه الأزمة والحنة فقد توفيت زوجته خديجة التي كانت تسري عنه وتسليه عما يلقي من أذى قريش وتوفي عمه أبوطالب الذي كان يحوطه ويدفع عنه على أنه كان مشركاً فوقع للنبي - صلى الله عليه وسلم - آية عظيمة من آيات نبوته وهي المعراج إلى السماء عُرِجَ به إلى السماء بينما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - نائماً في الحجر إذ أتاه جبريل عليه السلام ومعه دابة كالبغل أو أكثر من البغل يقال لها البراق فأمره أن يركب فركب النبي - صلى الله عليه وسلم - في تلك الليلة وكان خطوها إلى منتهى بصرها فلأجل ذا بلغ بيت المقدس في تلك الليلة التي عرج بها ووجد النبي - صلى الله عليه وسلم - الأنبياء قد جمعوا وحشدوا له فأمهم في ذلك المكان وذلك لإظهار فضله وأنه سيد ولد آدم وأنه إمام المرسلين فأم أنبياء الله جميعاً أما كيف كان ذلك فهذا أمر الله عليه قدير أن يحضرهم في صفة من الصفات لنبيه - صلى الله عليه وسلم - فالذي أحياهم وأماهم قادر على أن يعيدهم فأمهم النبي - صلى الله عليه وسلم - في بيت المقدس { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } الإسراء ١ ثم بعد ذلك عرج به إلى السماوات العلى احتمله جبريل عليه السلام وذهب به في أحوال أو أمور لا تدركها عقولنا صعد به إلى السماوات العلى حتى أنه كان يأتي إلى كل سماء فيستفتح ويفتح له فوجد في السماء الأولى أبانا آدم عليه السلام وعن يمينه أرواح المؤمنين وعن شماله أرواح الكافرين من ذريته فإذا التفت جهة اليمين وإذا التفت إلى جهة الشمال بكى وقال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ، ثم ذهب إلى السماء الثانية فإذا فيها عيسى بن مريم عليه السلام ويحيى بن زكريا وهما ابنا الخالة ثم رقا إلى السماء التي بعدها فوجد فيها هارون عليه السلام ثم بعد ذلك وجد في الرابعة إدريس أو لعله العكس ثم وجد في السماء الخامسة موسى بن عمران وكلهم يرحب به ويقول مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح إلى أن بلغ السماء السابعة فوجد فيها أباه إبراهيم وقد أسند ظهره إلى البيت المعمور ثم بعد ذلك بلغ سدره المنتهى

وغشيها من الحسن والبهاء ما لا يستطيعه وصف إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى
ثم بعد ذلك وقف جبريل عليه السلام وقال هذا حدي لا أتجاوزته وخطى النبي -صلى الله عليه
وسلم- وتقدم إلى موضع سمع فيه صريف الأقلام أقلام القدم فأوحى الله تعالى إلى عبده ما أوحى
وفرض عليه الصلوات أول الأمر خمسين صلاة في اليوم واليلة وهبط بمن -صلى الله عليه وسلم-
حتى مر بموسى عليه السلام فسأله فأخبره فقال إني عاجلت بني إسرائيل قبلك وإن أمتك لا تطيق ذلك
فارجع إلى ربك فسأله التحفيف ، فرجع النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى ربه فحط عنه خمساً
ورجع أدراجاً فمر بموسى فقال له مثل ما قال ورجع إلى ربه فلم يزل يتردد بين موسى بن عمران
عليه السلام وبين ربه -عز وجل- حتى بلغ خمساً وأمره موسى أن يرجع إلى ربه لكنه قال : استحييت
من ربي فأمضى الله فريضه وقال : هي خمس في الفعل خمسون في الميزان ونزل النبي -صلى الله عليه
وسلم- بهذه الصلوات الخمس قال الشيخ -رحمه الله- وفرضت عليه الصلوات الخمس وصلى في
مكة ثلاث سنين إذا هذه الصلوات الخمس لم تفرض إلا في آخر ثلاث سنوات في مكة وأول ما
فرضت الصلاة ركعتان ركعتان ثم بعد ذلك زيدت في صلاة الحضر وأقرت صلاة السفر على
الفريضة الأول والذي يظهر والله أعلم أنه أيضاً لم تكن فرضت الجماعة وإنما فرضت الجماعة
والصلاة الرباعية بعد أن هاجر النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة قال وبعدها أي بعد هذه
السنوات الثلاث السابعة في العشر الأول كم صار؟ ثلاثة عشرة سنة أمر بالهجرة إلى المدينة ، النبي -
صلى الله عليه وسلم- لا يخرج عن أمر ربه لا يمكن أن يهاجر إلا بإذنه فأذن الله تعالى له بالهجرة
وكان قد شرع في إرسال أصحابه فرادى ومثنى إلى المدينة وصاروا يخرجون خفية إلا عمر بن
الخطاب رضي الله عنه فإنه قام في بطن مكة وقال من أراد أن تشكله أمه فليلقاني في بطن هذا الوادي
فلم يلحقه أحد قوي أمين رضي الله عنه فأما نبينا -صلى الله عليه وسلم- فقد استشعر أبوبكر
الصديق رضي الله عنه نية رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الهجرة فأعد راحلتيه وأعلفهما
وأعدهما لهذه المناسبة فلم يرى أبوبكر الصديق في ساعة الهجرة لم يكن النبي -صلى الله عليه وسلم-
يأتي فيها عادة كان يأتي إما أول النهار أو آخر النهار فأتى في ساعة لم يكن من عادته أن يأتي فيها
مبالغة في الحذر والحيلة فقال لأبي بكر الصديق : أخرج من عندك ؛ لأن الأمر خطير ولا بد من اتخاذ
السرية فقال إنما هم أهل يارسول الله فقال : إنه قد أذن لي بالهجرة فقلت يارسول الله : الصحبة قال
الصحبة فبكى أبوبكر الصديق رضي الله عنه تقول عائشة فما علمت أحداً يبكي من الفرح حتى
رأيت أبابكر الصديق رضي الله عنه يبكي ذلك كيف لا يبكي وهو سيصحب محمد بن عبد الله -
صلى الله عليه وسلم- ويكون له هذا الفخر العظيم إلى يوم القيامة وفعلاً خرج هاتين الناقتين وقد
قال له النبي -صلى الله عليه وسلم- آخذها بالثمن وهذا يدل أنه في أمور الطاعات والقرب ينبغي أن
يذل الإنسان من ماله وأن لا يعتمد على أعطيات الآخرين قدر المستطاع فقال هي لك يارسول الله

قال : آخذها بالثمن وكذا صنع النبي -صلى الله عليه وسلم- في بناء المسجد بعد أن هاجر فآلهمم
أههما سربا هاتين الناقتين وخرجا من الباب الخلفي ؛ لأن أعين قريش كانت ترصدهم وقد شعرت
قريش فعلاً أن النبي -صلى الله عليه وسلم- على وشك الخروج وأعدت في الأمر عدة فاجتمعوا في
دار الندوة وتشاوروا فيما بينهم حتى إنه قر رأيهم على أن ينتدبوا من كل قبيلة من قبائل قريش فتي
جلداً شاباً معه سيف ويحيط ببيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فإذا هم بالخروج ضربه ضربة
رجل واحد فتفرق دمه في القبائل ، لكن الله تعالى أنجاه {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ
سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} يس ٩ وخرج النبي -صلى الله عليه وسلم- من بين ظهرانيهم
وأوى وصاحبه إلى غار يقال له غار ثور وبات فيه ثلاثة أيام حتى ينقطع الطلب وجعلت قريش في
من يأتي بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وصاحبه مئة من الإبل وهو عرض مغرس يتمناه كل عربي إذ
الإبل هي أنفث أموال العرب ولكن الله سلم فظل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من حين
خروجه إلى أن بلغ المدينة عشرة أيام حتى بلغ المدينة يوم اثنين وكان في هجرته -صلى الله عليه
وسلم- يكمن نهاراً ويسير ليلاً وبذل أبوبكر الصديق رضي الله عنه من ضروب الفداء والرعاية ببني
-صلى الله عليه وسلم- ما بلغه هذه الدرجة أن كان أفضل هذه الأمة بعد نبيها ومما جرى له أنهما
دخلا غاراً في أثناء مسيرهما فقال أبوبكر للنبي -صلى الله عليه وسلم- أمكث يا رسول الله حتى
أستحث لك الغار حتى لا يكون فيه سبع أو حية أو غير ذلك فدخل رضي الله عنه حتى إذا استوثق
دعا النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يدخل وجعل النبي -صلى الله عليه وسلم- رأسه الشريف على
فخذ أبي بكر وجعل أبوبكر الصديق رضي الله عنه يتلمس الغار فوجد فيه حجرين فخشي أن يخرج
منهما شيء يعدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فألقمهما عقبه فخرجت عقرب من أحد هذين
الحجرين وجعلت تلسع عقب أبي بكر الصديق وهو يتألم ولا يبدي حرارة حتى جعلت دموعه تنهمر
من عينيه فلم يراه النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا ودموعه تسقط على وجهه الشريف فقام النبي -
صلى الله عليه وسلم- فقال : مالك فقال : عقرب يارسول كدت أن أوقظك فمسح النبي -صلى
الله عليه وسلم- على عقبه حتى برئ ولهذا لما تحدث أناس في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وربما فضله بعضهم على أبي بكر قال : والله ما يساوي آل الخطاب ليلة من ليالي أبي بكر وضي اللهم
عنهم أجمعين فكانت له هذه المنقبة العظيمة {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ
اَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ
تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} التوبة ٤٠ فحصلت
المهجرة التي ذكر.

قال المصنف - رحمه الله - : والهجرة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

هذا هو تعريف الهجرة الهجر من الترك والمراد بالهجرة الخاصة هي الانتقال من مكة إلى المدينة هذه هي الهجرة الخاصة التي يعلق عليها الفضل العظيم والتي عليها قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية فهي منقبة عظيمة لأهلها فمن هاجر من مكة إلى المدينة فهو من المهاجرين ، أما الهجرة بالمعنى العام فكما عرفها المصنف : الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وهي بهذا التعريف باقية إلى يوم القيامة لا يمكن ان تنقطع مادام تم بلد شرك وبلد إسلام فإن هذه الشريعة باقية لا تنقطع.

قال - رحمه الله - والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وهي باقية إلى أن تقوم الساعة { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا {النساء ٩٧.

وهذا دليل على وجوب الهجرة وعلى أن من ترك الهجرة مع القدرة عليها فقد أتى كبيرة تورده النار يكون مستحق بها النار إلا من استثنى الله تعالى قال تعالى : {إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا} {النساء ٩٨} {فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا} {النساء ٩٩}. وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

قوم موافقين ليعلمهم ويقضي بينهم ويفقههم ، والرسول هو من أرسل إلى قوم مخالفين هذا هو القول الذي رجحه شيخ الإسلام ، كم مكث النبي -صلى الله عليه وسلم- في مكة يدعو الناس؟ ثلاثة عشرة سنة وفي المدينة عشر سنين ، متى فرضت الصلاة؟ قبل الهجرة بثلاث سنين ، إذاً هاجر النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة وهذا مبتدأ درس اليوم.

قال المصنف -رحمه الله- والهجرة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وهي فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وهي باقية إلى أن تقوم الساعة {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} النساء ٩٧ {إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا} النساء ٩٨ وقوله تعالى {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ} العنكبوت ٥٦ قال البغوي -رحمه الله- : سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين في مكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان والدليل على الهجرة من السنة قوله -صلى الله عليه وسلم- : لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، تقدم معنا ان نبينا -صلى الله عليه وسلم- هاجر من مكة إلى المدينة لما أذن الله تعالى له بالهجرة فوصل المدينة يوم اثنين وكان أصحابه يخرجون كل يوم إلى ظاهر المدينة يترقبون مقدمه حتى إذا غلبتهم حرارة الشمس على الظل رجعوا أدراجهم فخرجوا في ذلك اليوم حتى ارتفع النهار ولم يبق ظل يستظلون به فهموا بالرجوع فطلع رجل من اليهود على أطم من أطام المدينة يعني على حصن من الحصون فنظر فإذا سواد مقبل فقال يابني قيلة هذا حظم الذي تنتظرون أو قال : هذا جدكم الذي تنتظرون ففرع الناس إلى سيوفهم وأقبلوا يستقبلون النبي -صلى الله عليه وسلم- وهذه شهادة أنطق الله تعالى بها ذلك اليهودي قال هذا جدكم يعني حظكم وعزكم وشرفكم الذي تنتظرونه فأتى الناس فإذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر ومعهما عامر بن الفهيرة والدليل عبدالله بن الأريقط فلم يميزوا بين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبين أبي بكر حتى قام أبو بكر يظلل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الشمس فعرفوا أن هذا رسول الله ؛ لأن كثير منهم لم يلقه بعد ثم إن نبينا -صلى الله عليه وسلم- سار مع الناس حتى أتى قباء ونزل فيها ما شاء الله ثم بعد ذلك توجه إلى المدينة وصار بطون قبائل الأنصار كل يأخذ بناقته يريد أن يتزل عنده ويرحبون به ويقولون هاهنا المنعة ويرغبونه في التزول عندهم وكان -صلى الله عليه وسلم- يقول دعوها فإنها مأمورة ، حتى أتت ناقته إلى موضع مسجده فبركت فلم يتزل عنها -صلى الله عليه وسلم- ثم قامت فمشيت إلى موضع ثم رجعت إلى

موضعها الأول فبركت وتحللت وألقت بجرانها في الأرض فترل النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال : هذا المنزل إن شاء الله فقد أمرت هذه الناقة بتحديد موضع مسجده -صلى الله عليه وسلم- فسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن هذا الموضع فقيل إنه لغلامين من الأنصار فساومهما عليه فقالا : يارسول الله نبذله لك دون ثمن فقال : بل آخذه بالثمن فأقام عليه -صلى الله عليه وسلم- مسجده وأقام حجرات أزواجه إلى جانبه وبقي إبان ذلك في بيت أبي أيوب الأنصاري في تفاصيل معلومة من السيرة وهذا الحدث أيها الإخوة مفرق في طريق الإسلام أي الهجرة ولهذا عظمه الصحابة رضوان الله عليهم فلما أراد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يجعل تأريخاً للمسلمين جمع الصحابة وشاورهم ثم استقر رأيهم على أن يؤرخوا بالهجرة ؛ لأن هجرة النبي -صلى الله عليه وسلم- هي الإيذان بقيام الدولة المسلمة بجميع عناصرها وأركانها فلم يكن التقويم مبني لا على البعثة ولا على المولد النبوي وإنما كان مبني على هجرة النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة لعظم ذاك الحدث وكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً فرح به المسلمون غاية الفرح ؛ لمقدم النبي -صلى الله عليه وسلم- وهذه الهجرة صارت فريضة كما عبر المصنف لكل مؤمن دخل في دين الإسلام وكان قادراً على أن يهاجر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما في ذلك من تقوية المؤمنين وتكثير سوادهم ونصرهم وموانعتهم فلاجل ذا كان من دخل في الإسلام لزمه أن يهاجر مع النبي -صلى الله عليه وسلم- وينهى عن الرجوع إلى بلده أو باديته وكان ينهى عن تعرض المهاجر وهو أن يعود إلى باديته بعد إذ أسلم فكانت هذه الفريضة ضرورة لقيام دولة الإسلام ولحصول النصر والعز والتمكين فإذا بالناس يتقاطرون إلى مدينة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصار الأنصار رضوان الله عليهم يتلقون هؤلاء المهاجرين ويرحبون بهم ويقاسمونهم أموالهم وضياعهم كما جرى هذا في وقائع مشهورة فكانت المدينة الأنصار وهم الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبل الأوس والخزرج وكان المهاجرون الذين تقاطروا من مكة ومن بقية قبائل العرب ثم نزل أمر الإسلام يقوى ويشتد إلى أن بلغ ما بلغ والله الحمد ، تكلم الشيخ -رحمه الله- عن الهجرة فعرفها بقوله الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ماهو بلد الشرك ماهو بلد الإسلام ، بلد الإسلام هو الذي تكون فيه أعلام الإسلام وشرائعه ظاهرة والمقصود ظاهرة يعني في الأعم الأغلب وأما بلد الشرك فهو الذي لا تظهر فيه شعائر الإسلام في الأعم الأغلب بلد الإسلام هو الذي تظهر فيه شعائر الإسلام في الأعم الأغلب وبلد الشرك هو الذي لا تظهر فيه شعائر الإسلام ماذا نقصد بشعائر الإسلام؟ الأذان العیدان إقامة السجود صلاة الجماعة الجمع المظاهر الإسلامية ، هذا التعريف هو أوسع تعريف يمكن أن يطبقه في هذا العصر الحديث وإلا ففيما مضى المراد ببلد الإسلام هو البلد الجامع لأهل الإسلام الذي يكون الناس فيه تحت إمام واحد ويقاثلون فيه تحت راية واحدة ومن سواهم فهم حرييون أو معاهدون أو ذميون أو مستأمنون ذلك أن غير المسلمين لا يخلون من أربعة أوصاف غير المسلم إما أن يكون ذمياً أو معاهداً أو مستأمناً أو

حربياً ، فنظرة الإسلام للبشر أنهم إما مسلمون وإما غير مسلمين غير المسلمين هم هؤلاء الأقسام الأربعة فالمقصود بالذميين هم اليهود والنصارى الذين رضوا بأن يذلولوا الجزية للمسلمين ويساكنوهم وسيقوا على دينهم قال الله تعالى : { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } التوبة ٢٩ فإذا فتح الله تعالى البلاد على المسلمين وصار بعض أهلها من اليهود والنصارى مصريين على البقاء على دينهم مع بذل الجزية فإنهم يسمون ذميين وأهل الذمة في ذمة أهل الإسلام بمعنى أنهم يحفظون حقوقهم ودماءهم وأموالهم وأعراضهم لا يحل انتهاك شئ منها ولكنهم خاضعون للسلطة الإسلامية ويذلولون جزية سنوية ، ولا وجود في هذه العصور الأخيرة لهذا التقدير فمنذ انتهاء الدولة العثمانية لم يبق هذا النظام نظام أهل الذمة بل ذهب واضمححل المستأمنون هم الذين يدخلون بلاد الإسلام بأمان كما دل عليه قول الله - عز وجل - : { وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ } التوبة ٦ فإذا دخل أحد من غير المسلمين بلاد المسلمين وأمن فإنه لا يحل لأحد أن يتعرض له حتى يرد إلى مأمنه ولكن دعا كما قال الله حتى يسمع كلام الله ويرد إلى مأمنه ولا يقصر على الدخول في الإسلام ، المعاهد هو من بينه وبين أهل الإيمان عهد وميثاق وهذه الصيغة هي الصيغة الغالبة الآن في علاقات الدول الإسلامية مع غير الدول الإسلامية فحينما يقع اعتراف بين دولتين أو أكثر فهذا الاعتراف يعني نوع معاهدة بحيث أنه إذا انتقل أحد من أهل تلك البلاد إلى البلاد الإسلامية فإنه يدخل بالعهد ويكون معاهداً ويسمونها الآن بالفيزا إذا حصل على الفيزا فمعنى ذلك أنه حصل على عهد فلا يحل التعرض ولا يجوز التعرض له بقتله أو إيذائه أو ظلمه فإن هذا معاهداً وقد جاء في الحديث من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، بقي الصنف الرابع وهم الحربيون وهو أن يقع بين أهل الإسلام الذين تضمهم دولة واحدة وسلطان واحد حرب وقتال مع غير المسلمين فلا ريب أن ما يقع بين المتحاربين يعني أن يحاول كل فريق أن ينال من الفريق الآخر فلا عهد للحربي ولا ذمة له بل هو حلال الدم والمال ، إذاً كان واجباً على من دخل في عقد الإسلام في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يهاجر إليه في المدينة ولا يحل له أن يرجع إلى باديته ولا أعرايته بل يبقى مؤتمراً بأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - قال الشيخ - رحمه الله - : والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وهي باقية إلى أن تقوم الساعة هناك هجرة خاصة وهي من مكة إلى المدينة هذا النوع من الهجرة انقطع بأي شئ؟ بفتح مكة لما فتح الله مكة وصارت مكة دار إسلام انقطعت هذه المنقبة وهذه الفضيلة العظيمة لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ومثلة المهاجرين مثلة عليه رفيعة ألا ترون أن الله تعالى إذا ذكر المهاجرين والأنصار ما المقدم في الذكر؟ المهاجرين قال الله تعالى في سورة الحشر { لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ } الحشر ٨ ثم ثنى فقال : { وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا

الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ} الحشر ٩ يعني الأنصار ثم ثلث فقال {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} الحشر ١٠ يقصد التابعين {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ} التوبة ١٠٠ وكلا الفريقين على منزلة عظيمة لكن المهاجر على وجه العموم أفضل من الأنصاري وطوبى للأنصار فقد جاء أنه منازل مهاجر على أنصاري إلا بقرعة تأملوا وذلك لشدة رغبتهم رضوان الله عليهم في إيواء إخوانهم واستضافتهم ، هذه الهجرة يا إخوة لم تنقطع هي فريضة باقية فحيث ما وجدت بلد شرك وبلد إسلام صار لزاماً على من يعيش في بلد الشرك أن ينتقل إلى بلد الإسلام لتحقيق المقاصد التي ذكرنا من تكثير سواد المسلمين وتقويتهم والنأي بدينه عن الفتن واستدل المصنف -رحمه الله- بهذه الآية إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض يعني فنتا عن ديننا واستضعفنا فتجيبهم الملائكة ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ كان يسعكم أن تنتقلوا وتهاجروا فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً عياداً بالله وعيد عظيم ثم استثنى الله تعالى غير القادر فقال : {إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا} النساء ٩٨ {فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا} النساء ٩٩ وهذا من سعة دين الله سماحة الشريعة أن المكروه لا شئ عليه وقد كان أقوام في مكة يرسفون في الأغلال والقيود يحال بينهم وبين الهجرة كما جرى ذلك لأبي جندل وكما جرى لأبي بصير وغيرهم من الصحابة الذين كانوا قد حيل بينهم وبين الهجرة إلى المدينة فهو لاء معفو عنهم وهذا أيضاً ينقلنا إلى النظر في حال من كان في بلدان أخرى هل يلزمه أن ينتقل إلى بلاد الإسلام أم لا؟ إذا كان يمكنه أن ينتقل إلى بلد الإسلام فإنه يجب عليه لزاماً أن ينتقل أما إذا كان لا يمكنه فهو معذور ويمكن أن نتصور هذا في العقود الأخيرة بأن يوجد مسلم في بعض البلاد الغربية أو الشرقية فإن تمكن من النقلة إلى بلاد الإسلام والعيش بين ظهري المسلمين كان ذلك لزاماً عليه لماذا؟ لأنه عيشه بين الكفار يخرب دينه وقد جاء في الحديث أنا بريء من كل مسلم يقيم بين ظهري المشركين وهذا حديث جود اسناده الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله- فلو وجد مسلم في بين كفار أو يهود أو نصارى فيقال له : هاجر إلى بلاد الإسلام فإذا قال : الأنظمة تمنع ذلك والدول المسلمة لا يمكن أن تسمح لي بالإقامة فهو معذور وقد ارتفع عنه الحرج لهذا العذر لقول الله تعالى : {فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا} النساء ٩٩ ويقابل ذلك أن ننظر هل يجوز للمسلم أن يدع بلاد الإسلام ويقصد بلاد الكفر والإشراك يقيم فيها إقامة مؤقتة أو دائمة؟ أما الإقامة المؤقتة فهي أهون ولكنها لا تجوز إلى بشروط ثلاثة ذكرها شيخنا -رحمه الله- أحد هذه الشروط

أن يكون عنده علم يدفع به الشبهات

أن يكون عنده ورع يدفع عنه الشهوات

ثالثاً أن يكون لديه حاجة تحمله إلى هذه النقلة وهذه الرحلة إذاً لابد من علم يدفع الشبهات ؛ لأن القاصد إلى بلاد الكفار يطرأ على عقله من الشبهات ويورد عليه من الأفكار المضلة ما قد يزلزل دينه وعقيدته لا سيما إذا كنت بلاداً متطورة متقدمة من الناحية التكنولوجية والمدنية فقد يقع في قلبه زيغ والعياذ بالله فلا بد إذاً أن يكون عنده علم ثابت يدفع به الشبهات ، ثانياً أن يكون عنده ورع وتقوى يدفع بها الشهوات ؛ لأن بلاد الكفار على مر الأعصار بلاد فجور وتحرر وتساهل بخلاف بلاد أهل الإسلام ففيها من رعاية الأخلاق والمحافظة على الآداب مالم يس في غيرها فحيث إن كان عنده تقوى وورع فهذا قد تحقق الشرط الثاني ، الأمر الثالث الحاجة إن كان هناك حاجة مع توفر الشرطين السابقين حل له أن يسافر ، هذه الحاجة يمكن أن تكون طلب علم ويمكن أن تكون طلب تجارة فإن الفقهاء نصوا على أن طلب التجارة لا يبيح السفر إلى بلاد الكفار وأن ذلك من الضرب في الأرض المباح أن يكون ذلك بغرض الدعوة إلى الله -عز وجل- فهذا مقصد صحيح أن يكون لطلب علاج لا يجد مثله في بلاده فهذه حاجات صحيحة هل من الحاجة السياحة؟ الظاهر أنه لا ؛ لأن السياحة في الواقع لا سيما السياحة بالمفهوم المعاصر هي غشيان لأماكن ومواقع تكثر فيها المنكرات والفساد فإن السياحة تعني أن يذهب الإنسان إلى مواقع ومتنزهات يقصدها الناس على اختلاف أحوالهم وجاءة طباعهم وعاداتهم فيقع البصر على مناظر مؤذية وعورات وغير ذلك ولذلك لا يقال إن السياحة من الحاجة التي تبيح الإنسان نفسه وحرمة ويذهب إلى هذه المناطق ، إذاً لابد من تحقق هذه الشروط الثلاثة لجواز السفر إلى بلاد الشرك.

١٣-١١-١٤٣٠ هـ الأصول السبب الرابط الثالث

وكانوا يتعرضون لحن عظيمة فلأجل ذا أذن لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بالهجرة إلى الحبشة قال : إن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد فهذا أخف الشرين ، لكن لما يوأ الله تعالى للمؤمنين المدينة فلا يحكم بها إلا بدين الله والأمر الناهي فيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان لازماً على كل مؤمن أن يهاجر إلى المدينة أما من قصد بلاد الكفر لأجل السكنى وغرض الإقامة فيها بغرض الرفاهية والتوسع في أمور الدنيا والتنعم فهذا قد خاطر بدينه ونفسه وعياله وأفامهم في موضع يرى أنهم كل يوم يتناقصون ويمتلكون من دينه فهذا لا يحل ، لا يجوز للإنسان أن يهجر بلاد الإسلام ليقم في بلاد الكفر اللهم إلا أن يكون له عذر كأن يخشى على نفسه أو نحو ذلك ، أما أن يذهب بقصد الرفاهية والتنعم وأخذ الطيبات الدنيوية فهذا لا يحل له ، وقد رأيت بعيني رأسي أيها الإخوان من المسلمين الذين ابتلوا بالسكنى بين ظهري الكفار في أوروبا وأمريكا من يبكي بكاءً مراً وهو يرى ذريته أبناءه وبناته ينسلخون من الدين أمام عينه ولا يملك عليهم قوامة ولا ولاية ؛ لأن الأنظمة المدنية لتلك الدول تمنعه من أن يتحكم فيهم أو يأمرهم أو ينهاهم فما إن تبلغ الفتاة ثمانية عشرة سنة فإنه لا يستطيع أن يأمرها ولا أن ينهها ، لها أن تصاحب من تشاء ولها أن تسهر مع من تشاء ولها أن تتخذ

صديقاً إلى غير ذلك من الموبقات ، يرى ذلك بأم عينيه ولا يحرك ساكن ، فلاشك أن تعريض الإنسان ذريته لهذه المخاطر لأجل لعاعة من الدنيا مجازفة عظيمة وتعريض للنفس لكبائر هو في غنى عنها بلاد الإسلام أيها الإخوة مهما بلغت من التخلف خير لأهلها فإن الإنسان في بلاد الإسلام يقرع عينه الآذان ويسمع القرآن ويحد أهل الإسلام ، فالمقام بينهم ليس كالمقام بين ظهري الكافرين ، استدل أيضاً بقول الله : { يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ } العنكبوت ٥٦ ، هنا جزء تالف من ٣٠٠ إلى ٣٠٤٢

بأن من شرط الإيمان أن يهاجر الإنسان من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وأن هذا مقتضى العبودية فيأيي فاعبدون قال والدليل على الهجرة من السنة قوله -صلى الله عليه وسلم- : لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها ، هذا الحديث رواه الإمام أحمد وأبو داود والدارمي ورجال أحمد ثقات مما يدل على أن أمر الهجرة باق إلى أن تطلع الشمس من مغربها ولما علق التوبة بطلوع الشمس من مغربها؟ لأنه بعد طلوع الشمس من مغربها يوصد باب التوبة فلا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً فإذا طلعت الشمس من مغربها فلا توبة وإذا غرغرت الروح في الحلقوم فلا توبة ، إذا عظم الشيخ وأعاد وأبدى في أمر الهجرة لعظم شأنها وتأثيرها في قيام شأن الإسلام ودولته هنا جزء تالف ومن ٥٠٣ إلى ٥٠٢١

وغير ذلك من شرائع الإسلام أخذ على هذا عشر سنين وبعدها توفي صلاة الله وسلامه عليه ودينه باق

ومعنى أن تكون كلمة الله هي العليا

هنا ايضاً جزء تالف ومن ٥٠٣٠ إلى ٨٠٢٠

الاصول الرابط الرابع

والقوة ونفاذ الكلمة لسلطان المسلمين وتكون الأمور العامة بيد المسلمين فمن أبي وارتضى أن يدخل في عقد المسلمين فإنه يبذل لهم الجزية وكذلك الآذان فإن الآذان أيضاً فرض في أول الإسلام لعله في السنة الثانية أيضاً فكان الآذان من أعظم شرائع الإسلام ؛ لأنه يدل دلالة واضحة على هوية هذا المجتمع فإذا جاء وقت الصلاة ثم لعلت المساجد والمآذن بهذا الصوت الندي علم أن هذا البلد بلد إسلام ولو تواطأت أهل بلدة على ترك الآذان لقاتلهم الإمام على ترك هذه الشعيرة ، كذلك الأمر المعروف والنهي عن المنكر فإنه من أعظم الشرائع ومن أعظم خصائص هذه الأمة قال ربنا - عز وجل - { وَتُكِّنْ مِنْكُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ }

هُمُ الْمُفْلِحُونَ {آل عمران ١٠٤} وقال سبحانه {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} {آل عمران ١١٠} الواقع أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا يعني إشاعة الحق وإبطال الباطل هذه رسالة هذه الأمة أن تشيع القيم والمعاني الصحيحة الصائبة وتكسي العلم النافع والعمل الصالح وتقاوم البدع والخرافات والمعاصي والمنكرات وهذا إنكار المنكر إذاً هذان الشرطان خطان متوازيان الأمر بالمعروف منجهة البناء والتشييد والنهي عن المنكر من جهة الصيانة والحسم فهما من أخص خصائص الأمة المحمدية ، إذاً قال والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام لم تنزل الشرائع تنزل تترأً حتى كمل الدين قال المصنف -رحمه الله- أخذ على هذا عشر سنين يالها من عشر عشر سنوات مملوءة بالعلم والجهاد والتعليم لا يتصور الإنسان أنت لو تأملت مثلاً في آخر عشر سنوات مرة بك ما وجدت شيئاً ذا بال يستحق أن يذكر أما العشر سنوات التي أمضاها النبي -صلى الله عليه وسلم- في المدينة ، كم تضمنت من غزوة وسرية وخطبة وتعليم وأحداث عظام ببركة عمره -صلى الله عليه وسلم- فقد أخذ على هذا عشر سنين قال : وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه كما أخبر الله تعالى إنك ميت وإهم ميتون فذاك في يوم اثنين في السنة الحادية عشرة من الهجرة في ربيع الأول كانت صفات النبي -صلى الله عليه وسلم- وكان قد بدأ المرض في أواخر شهر صفر وأول شهر ربيع الأول وقد شعر النبي -صلى الله عليه وسلم- بهذا فإنه لما حج حجة الوداع في السنة العاشرة كان يقول لجموع الناس : لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا فكان في هذا إشعار بأنه أدى المهمة وأنزل الله تعالى عليه ما سيأتي بعد قليل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فكان في هذه الآية إشارة إلى أن المهمة تمت الوظيفة التي لأجلها بعثته الله تعالى قد حصلت بل وأنزل الله عليه إذا جاء نصر الله والفتح {١} ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا {٢} فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً {٣} وكان من فقه ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما سأله عمر هذا نبي من الله لنبية -صلى الله عليه وسلم- فكانت هذه إرهابات ومقدمات تنبأ عن دنو أجله وفعلاً قال في آخر عمره : ما زلت أجد أثر الأكلة التي أكلتها يوم خيبر وهذا أوان انقطاع أظهري وذلك أن نبينا -صلى الله عليه وسلم- في يوم خيبر دست له يهودية السم الزعاف في شاة مسمومة وسألت ماذا يعجب النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا : الدرع فجعلت له هذا السم في الذراع فلما أكل النبي -صلى الله عليه وسلم- ونهش منها نهشة أمر أصحابه أن يتوقفوا وقال : إن هذه الذراع أخبرتني بأن فيها سمّاً وكان قد أكل منها ابن البراء فمات من ساعته ، ولكن الله حفظ نبيه -صلى الله عليه وسلم- حتى إن عائشة رضي الله عنها تقول : ما زلت أرى أثر السم في لهوات النبي -صلى الله عليه وسلم- يعني أبقاه الله وجهه يرى سواده وأثره من الداخل ثم قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في آخر عمره : وهذا أوان انقطاع أظهري فلو قال قائل : إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد قتلته يهود لما فالمهم أنه لما كان في يوم

اثنين توفاه الله تعالى ودهش الناس دهشة عظيمة لا سيما أنه في ذلك اليوم قد كان معه نوع وأزاح الستر ورأى المسلمين وهم يصلون فسر واستنار وفرح المسلمون وظنوا أنه شفي حتى إن أبابكر الصديق ذهب يتفقد بعض ضياعه خارج المدينة ولكن الله تعالى استوفى نبيه وأقبل أبوبكر الصديق وإذا الناس في المسجد وإذا عمر رضي الله عنه قد اعتلى المنبر وقال وهو يلوح من زعم أن محمداً قد مات قتلته وإنما ذهب للقاء ربه كما ذهب موسى بن عمران كان عمرًا رضي الله عنه مصدوماً بهذا الأمر فكان يخشى أن ينشقب أمر الإسلام فلما رآه أبوبكر أعرض عنه ودخل فكشف وجه النبي -صلى الله عليه وسلم- فإذا هو قد مات فقبله بين عينيه وقال : بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً ثم خرج إلى الناس ونادى عمر لكن عمر رضي الله عنه كان مندفعاً فقام أبوبكر في جانب من المسجد فأنجفل الناس إليه وقال : أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا قول الله تعالى : {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} آل عمران ١٤٤ فما أن سمعها عمر رضي الله عنه حتى عقر لم تكد تحمله قدماه وخر إلى الأرض وهذا يدل على ثبات أبي بكر ورباطة جأشه وقوة علمه وفقهه في الملمات والأزمات فتوفي رسول -صلى الله عليه وسلم- وتلقى الناس هذا الأمر وساروا ، ثم إن الصحابة رضوان الله عليهم تكريم لهم غسلوه في أثوابه ثم كفنوه في ثلاثة أثواب بيض سحولية ثم سار الناس يدخلون إليه أرسالاً يصلون عليه فرادى ، دخل الرجال والنساء والولدان ثم دفن -صلى الله عليه وسلم- ليلة الأربعاء وقد أدى ما عليه نسأل الله أن يجمعنا به في جنات النعيم وهو الذي قام بين الناس في حجة الوداع قال : وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك وأديت ما عليك ونحن والله نشهد أنه قد بلغ رسالات ربه وأدى ما عليه فرفع أصبعه إلى السماء قال : اللهم اشهد يرفع أصبعه إلى السماء وينكت به على الناس اللهم اشهد اللهم اشهد فتوفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال الشيخ -رحمه الله- ودينه باق وهذا دينه يعني المشار إليه ما تقدم ذكره وما سيأتي أيضاً لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرهما منه إي والله والخير الذي دل عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه هذه الحقيقة عبارة محكمة الخير الذي دل الأمة عليه التوحيد ؛ لأنه أصل الدين أفراد الله تعالى بالعبادة وجميع ما يحله الله ويرضاه والأقوال الظاهرة والباطنة والشر الذي حذر منه الشرك ؛ لأنه أصل الشرور كيف لا؟ إن الشرك لظلم عظيم إن لا يغفر أن يشرك به أي ذنب أعظم أن تجعل لله نداً وهو خلقك ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق فأعظم الشر هو الشرك قال : وجميع ما يكرهه الله ويأباه ماترك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شاذة ولا فائدة إلا ونبه الأمة عليها حتى قال أبو ذر رضي الله عنه : لقد توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وماطر يقلب جناحيه في السماء إلا ترك لنا منه علماً الله أكبر ، كل شيء

تحتاجه الأمة أخبر عنه النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال مرة رجل من الفرس لسلمان الفارسي قال : لعله على سبيل السخرية : لقد علمكم نبيكم كل شئ حتى الخراءة أكرمكم الله والمكان فقال سلمان الفارسي : نعم لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار أو أن نستنجي باليمين أو أن نستنجي برجيع أو.... نعم كانت في الحقيقة جواباً مسكتاً صحيح علمنا نبينا -صلى الله عليه وسلم- كل شئ حتى آداب قضاء الحاجة تأمل في حياتك اليومية ستجد أنه ما من مرفق من مرافق الحياة الاجتماعية الاقتصادية الأدبية الأخلاقية كل شئ إلا وقد بين الله سبحانه وتعالى ونبيه -صلى الله عليه وسلم- لنا منه علماً نسير عليه {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} البقرة ١٣٨ ثم قال المصنف -رحمه الله- بعثه الله إلى الناس كافة هذه مهمة وهو أن نعلم أن رسالة محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى الناس كافة إنهم وجنهم ليست كما يزعم بعض النصارى ألها إلى العرب فقط يعني قياساً على بعض الأنبياء السابقين بل رسالته -صلى الله عليه وسلم- إلى الثقلين الإنس والجن استدلل المصنف -رحمه الله- بقول الله تعالى : {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} الأعراف ١٥٨ إذا أمرنا الله تعالى بالإيمان به وأمرنا سبحانه بالاتباع لا يكفي مجرد الإيمان به كما يظن بعض الناس أن الثناء على محمد -صلى الله عليه وسلم- يعني إيماناً به بل لابد من الاتباع وقد تقدم معنا ما معناه شهادة أن محمداً رسول الله تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجرو وألا يعبد الله إلا بما..... هذا معنى الإيمان بمحمد -صلى الله عليه وسلم- إذا افترض الله طاعته على جميع الثقلين أما الإنس فالأمر ظاهر فقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يوجه دعوته إلى الإنس لكن حتى الجن أيضاً داخلون في الخطاب ولما رجع النبي -صلى الله عليه وسلم- من الطائف كثيراً حزينا قد رده أهل ثقيف يعني أسوأ رد آوى إلى واد نخلة موضع وقام يصلي فجمع الله له نفر من الجن {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ} الأحقاف ٢٩ {قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ} الأحقاف ٣٠ {يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} الأحقاف ٣١ إذا بلغت رسالة النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى هذا العالم الغيبي غير المنظور إلى الجن فهم مخاطبون ووقع في موقف آخر أن التقى ب.....أتوا إليه كما يفد إليه قبائل العرب تفد إليه وفود الجن ووقع بعض ذلك أيضاً في العهد المكي فقد حدث عبدالله بن مسعود أنهم كانوا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- فمضى قال فغاب عنا -صلى الله عليه وسلم- فسقنا نبحت عنه فلم نلبث عاد إلينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقال إنه أتاني داعي الجن وإهم سألوني فأعطيتهم كل لحم ذكر اسم الله عليه كل عظم ذكر اسم الله عليه

يجدونه أوفر ما يكون لحما ، فهذا مغترف مما يدل على تعلق دعوته -صلى الله عليه وسلم- بالجن أيضاً كما الإنس وأنزل الله تعالى سورة كاملة سورة الجن تبين قبولهم لدين الله تعالى ودخول بعضهم في دين الإسلام {وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَ الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا} {الجن ١٤} {وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَأْتُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} {الجن ١٥} قال المصنف -رحمه الله- : وأكمل الله به الدين والدليل قوله تعالى : الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا {المائدة ٣} قال يهودي لعمر رضي الله عنه آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً قال عمر رضي الله عنه وما هي قال : الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا {المائدة ٣} قال عمر أما إني أعلم في أي يوم نزلت نزلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم عرفة وهو راكب بعير وهذه الآية أيها الإخوان تقطع الطريق على كل مبتدع ؛ لأن الله قال اليوم أكملت لكم دينكم إذاً لا سبيل لأحد أن يضيف من عنده إلى دين الله فإن الله تعالى قد أكمل الدين فمن زعم أنه ينبغي كذا ويستحسن كذا ويستحب كذا بلا دليل ولا بينة فكأنما يطعن في كمال الدين كأنما يقول توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبقي عليه بقية لم يكملها وإن لم يقل هذا بلسانه لكان قائلاً له بلسان حاله لكن الله تعالى قال : الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا {المائدة ٣} فتمت النعمة ورضي الله لنا الإسلام ديناً ونحن نرضى بما رضي الله لنا به رضي الله ربنا وبالإسلام ديناً وبمحمد -صلى الله عليه وسلم- نبياً ورسولاً

في الآخر تعاد الأمور فيها إلى نصابها وبالجملة فإن من تأمل في الأدلة أيقن يقيناً لا شك فيه أنه لا بد من البعث فقد تواترت هذه الأدلة النقل والعقل والحس والنظر الصحيح على إثبات البعث ، إذاً يا إخوة يجب علينا أن نعتني بهذا الجانب وإن كنا نقرر الآن بأن من أنكر البعث فقد كفر ولا ريب لكني إن إيمان المؤمنين بالبعث يتفاوت بعض الناس إيمانه بالبعث إيمان يقظ إيمان حي كلما هم أن يقدم على عمل قام وازع الله في قلبه فقال : إحذر أمامك يوم آخر أمامك بعث ونشور فأحجم وأمسك عن معصية الله وبعض الناس يتبلد هذا المعنى في قلبه وكأنها قصص ومرويات وآثار يسمع بها وكأنه ليس معنياً بها فإذا أردت يا عبد الله أن تري نفسك وأن تعظ نفسك موعظة حسنة فالله الله أكثر من ذكر اليوم الآخر والموت لا بالحد الذي يفسد عليك عيشك لا أنت لا تحتاج من مخافة الله إلا القدر الذي يحجزك عن معصية الله فأقم في قلبك من مخافة الله ومن الاستعداد لليوم الآخر ما يحجزك عن معصية الله ويحجزك على طاعة الله هذا هو القدر الذي تحتاج إليه ثم قال المصنف - رحمه الله - .

وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذر والدليل قوله تعالى {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} النساء ١٦٥ وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد - صلى الله عليه وسلم - خاتم النبيين والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام قوله تعالى {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالتَّيِّبِينَ مِنْ بَعْدِهِ} النساء ١٦٣ وكل أمة بعث الله إليها رسولاً من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت والدليل قوله تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل ٣٦ وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله قال ابن القيم - رحمه الله - الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

ذكر الشيخ هذه المسألة المتعلقة بإرسال الرسل وإن كان أيضاً قد جرى لها ذكر سابق فقال - رحمه الله - وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذر بين البشارة والندارة هي الإعلام المقرون بخبر سار والندارة هي الإعلام المقرون بخبر مخوف هذا الفرق بين البشارة والندارة ولا شك أن أنبياء الله تعالى بعثوا مبشرين ومنذرين مبشرين من أطاع الله تعالى بالجنة ومنذرين من عصى الله تعالى بالنار قال تعالى {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} النساء ١٦٥ إذاً الحججة الوحيدة التي يمكن أن يحتج بها الآدميون على ربهم - عز وجل - أن يقول قائلهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فقطع الله تعالى هذه الحججة ببعثة الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فلا يبقى للناس حجة إذا أرسل الله تعالى الرسل فالحجة الرسالية لا بد من قيامها قال ربنا - عز وجل - وكنا معذيين حتى نبعث رسولاً فإذا افترضنا أن قوماً أو فرضاً لم تقم عليهم الحججة الرسالية فما حالهم؟ نقول المحكمات تدل على أن الله تعالى لا يعذب إلا من قامت عليه الحججة قد يقول قائل كم مناطق نائية على نهر الأمازون في

أمريكا الجنوبية وفي مجاهل استراليا وفي غابات أفريقيا لم يسمعوا بمحمد -صلى الله عليه وسلم- ولا بدين الإسلام ثم أقوام ماتوا في الفترة لم يبلغهم رسالة نبي ماحال المجهول؟ ماحال الطفل الذمات في صغره؟ ما حال كذا وكذا؟ أجاب النبي -صلى الله عليه وسلم- عن هذا فقال أربعة يحتجون يوم القيامة شيخ فان مات قبل ان يبعث الرسول وصبي مات قبل أن يبلغ الحنث ومجهول ليس له أصل ورجل من أهل الفترة فكل يدلي بحجته ويقول يارب كذا وكذا قال : فيمتحنهم الله تعالى يوم القيامة ويجعل ناراً ويقول ادخلوا فيها فإن هم أطاعوه نجوا وإن هم أبو قال إياي عصيتم فكيف برسلي؟ فحن نعلم أيها الإخوان أنه لا يهلك على الله إلا هالك وأن الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة هذا هو محكم الذي نتمسك به ونعتصم به ونعلم أن الله تعالى لا يوقع عذاباً بأحد حتى يقيم عليه الحجة الرسالية كما قال هاهنا لأن لا يكون على الله حجة بعد الرسل وفي هذا دليل على بطلان الاحتجاج بالقدر بعض الناس يحتج بالقدر إذا قيل له يافلان لما عصيت الله قال والله هذا شيء كتبه الله علي يافلان لم لم تفعل شيء مما أمرك الله قال ما كتبه الله لو كتبه الله لفعلته فبعض البطالين العطالين يحتج بالقدر على ترك الواجبات وفعل المحرمات فهل يتم استدلاله بالقدر على مراجه ويعذر بهذه الحجة لا لأن الله تعالى لم يثبت إلا حجة واحدة يمكن أن يحتج بها الآدميون {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} النساء ١٦٥ لو كان في القدر حجة لقبول الله حجتهم لكن الله رد حجتهم فأخبر الله تعالى عن هؤلاء المحتجين بالقدر أنهم يقولون قال تعالى {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} الأنعام ١٤٨ فسمى الله دعوهم كذباً والكذب هو مخالفة الخبر للواقع ثم قال حتى ذاقوا بأسنا ولو كان لهم حجة في القدر ما أذاقهم الله بأسه ثم قال ثالثاً قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا؟ يعني هل اطلعتم على كتابكم وقدركم السابق وبناءاً على اطلاعكم علمتم بأن هذا مكتوب عليكم وسلكتم هذا السبيل لا والله ما اطلعوا بقدرهم مسبقاً إذا ما حقيقة الأمر؟ إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون إذاً فلاحجة لكم في القدر إذاً هذه هي مهمة الرسل البشارة والندارة وقطع الطريق على الاحتجاج على الله -عز وجل- ثم قال وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد -صلى الله عليه وسلم- ما الدليل على أولية نوح {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالتَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ} النساء ١٦٣ وقال نبينا -صلى الله عليه وسلم- في حديث الصور إن الناس يأتون إلى نوح ويقولون له أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض إذاً فقد ثبت بهذين النصين أن نوح عليه السلام أول نبي وأول رسول وقد ذكرنا لكم في مضي الفرق بين النبي والرسول وخلاف العلماء في تحديد هذا الفارق ، بهذا يتبين خطأ من زعم أن أول الأنبياء أن قبل نوح عليه السلام إدريس وهذا يوجد كثيراً حتى إن الناس يتداولون بعض المصورات يسمونها شجرة الأنبياء ويكون مرسوماً فيها إدريس عليه السلام قبل نوح يعني بين آدم وبين نوح عليه السلام فهذان النصان يثبتان أن أول الأنبياء

وأول المرسلين هو نوح عليه السلام وأن إدريس جاء فيما بعد أين الدليل على أن خاتمهم محمد - صلى الله عليه وسلم - لم يذكره الشيخ هاهنا كذا في نسخكم قال الله - عز وجل - وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا {الأحزاب ٤٠} إذاً آخر الأنبياء هو محمد - صلى الله عليه وسلم - فلا نبي بعده بنص القرآن وكذلك هو - صلى الله عليه وسلم - غير أنه لا نبي بعدي فقد قال في الحديث الصحيح : سيكون بعدي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي ولا نبي بعده فمن ادعى النبوة بعد نبينا - صلى الله عليه وسلم - فدعواه باطلة وأدعياء النبي هذا عددهم كما أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - ثلاثون حتى جاء في حديث آخر أن منهم سبع وعشرون رجلاً وثلاث نسوة وقد وقع إدعاء النبوة في أواخر عهد النبوة إلى يومنا هذا لم يزل أدعياء النبوة يتواردون فممن ادعى النبوة قبل وفاته - صلى الله عليه وسلم - مسيلمة وبعد وفاته سجاح والأسود العنسي وكليح بن خويلد الأسدي ولم يزل يخرج في مثالي التاريخ من يدعي النبوة كما ادعاهما من تنتسب إليه البايه ومن ينتسب إليه البهائيون وكذلك القديانيون في الدول الشرقية لم يزل يوجد من يدعي النبوة والمقصود أن يكون ذلك الدعي له أتباع وهيلمان أما المحانين الذين يدعون النبوة فهؤلاء لاحصر لهم كثر وليسوا في الحسبة المقصود من يدعي النبوة يكون له أتباع وطائفة فهؤلاء كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - ثلاثون كذابون وهكذا من هؤلاء الله قد أكذبهم ونبه - صلى الله عليه وسلم - قد أكذبهم.

قال الشيخ - رحمه الله - وكل أمة بعض الله إليها رسولاً إي والله أقام الله الحجة على كل أحد وإن من أمة إلا خلا فيها نذير من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت.

هذه دعوى الأنبياء جميعاً يقول الله - عز وجل - {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} {الأنبياء ٢٥} هذا مشروع الأنبياء جميعاً.

قال الشيخ - رحمه الله - : ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت.

لا بد من هاتين الركيزتين لا بد من اقترانهما معاً الأمر بعبادة الله واجتناب الطاغوت كما قال : {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} {البقرة ٢٥٦} لا يمكن إلا أن يجمع الإنسان بين أمرين الكفر بالطاغوت الذي يحصل التخلية والإيمان بالله الذي يحصل به التحلية فلا بد من البراءة من الشرك تماماً وهذا هو الموافق للشق الأول من جملة الشهادة لا إله ثم تتمتها بالإيمان بالله - عز وجل - إلا الله فالكفر بالطاغوت والإيمان بالله قضيتان متلازمتان لا انفكاك بينهما ولا يمكن أن يتصور مؤمن بالله وبالطاغوت في وقت واحد هذان أمران لا يجتمعان إذ قالوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

الْعَدَاوَةُ وَالْبُغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ {المتحنة ٤} لقد كانوا مؤمنين بالله ولكن ما كانوا موحدين بالله لا بد من الإيمان بالله وحده.

قال الشيخ -رحمه الله- وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله قال ابن القيم -رحمه الله- الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

هذا في الواقع هو أحسن وأجمع تعريف للطاغوت وأصل الطاغوت لغة صيغة مبالغة من الطغيان ومعنى قضى الشئ أي تجاوز كما قال الله -عز وجل- إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لما طغى الماء أي تجاوز منسوبه المعتاد في قصة الطوفان حملناكم في الجارية أي حملنا أسلافكم في الجارية أي السفينة فالطغيان معناه التجاوز ولهذا عرفه ابن القيم -رحمه الله- بقوله ما تجاوز به العبد حده كل إنسان له حد لا يمكن لا يتجاوز الحد كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- للرجل قال احسأ فلن تعدو قدرك فكل إنسان له حد قال ما تجاوز به العبد حده من معبود المقصود من معبود يعني ممن رضي أو دعا إلى عبادة نفسه أما لو كان معبوداً بغير رضاه فهو برئ فعيسى عليه السلام وأمه والعجير برء ولا يدخلون تحت هذا الحد لأنهم ماعبدوا برضاه حاشا وكلا والملائكة أيضاً ما عبدوا برضاهم إذاً من معبود كما سيفصله لا حقاً إما أن يكون دعى لعبادة نفسه أو رضي أن يعبد غيره أو متبوع يعني في غير هدى من الله كما يحصل من الأخبار والرهبان وعلماء السوء الذين يحلون الحلال ويحرمون الحلال فيتبعوهم لما دخل الصحابي عدي بن حاتم على النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يقرأ قول الله تعالى {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ} التوبة ٣١ قال يا رسول الله ما عبدوهم ، ظن أن العبادة هي الركوع والسجود قال : ألم يكونوا يحلون لهم الحرام فيتبعوهم ويحرمون عليهم الحلال فيتبعوهم قال : بلى قال فتلک عبادتهم ، وكذلك علماء السوء الذين يسوغون للناس أو للحكام الحكم بغير ما أنزل الله وإفساد الدين وتسهيل الشهوات فكذلك يدخلون في حد المتبوع أو مطاع أي من كان له سلطان فأطيع على غير هدى من الله -عز وجل- ودعا إلى طاعته في خلاف ما أمر الله فإنه يدخل في حد الطاغوتية ، فهذا التعريف الذي ذكره ابن القيم -رحمه الله- يجمع أنواع الطغيان هذا والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.